مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الثالث والعشرون - المجلد الرابع - علوم القرآن و اللغة العربية - آذار 2024م
doi.org/10.52866/esj.2023.04.23.15

الأسس التربوية وأثرها على الفرد والمجتمع، سورة الفرقان الآيات (73 - 77) انموذجاً

د. رياض حسين أحمد

مستخلص:

بدأت بحثي هذا بالحديث في المبحث الأول عن صفة من صفات عباد الرحمن، وهم الذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً، وذلك ببيان المعنى العام لهذه الآية، ثم انتقلت إلى بيان الأهداف والمقاصد، ثم أثر ذلك على الفرد والمجتمع.

وبعد الحديث عن صفة عباد الرحمن، صار واضحاً أن أبين في المبحث الثاني كيفية إصلاح الذرية وإصلاح الأزواج، وهذا ينبع من إصلاح الآباء لأنفسهم مع تقوى الله تعالى، فبينت ذلك في المعنى العام للآية، ثم الأهداف والمقاصد، ثم أثر إصلاح الذرية على الفرد والمجتمع، وما أثر عدم الإصلاح على هذه الأمة، لذلك أصبح من الضروري أن أبين في المبحث الثالث جزاء الصابرين المخلصين لله تعالى وما يوفون اجورهم إلا بلقاء وتحية وسلاماً، فبينت ذلك في المعنى العام، ثم بينت الأهداف والمقاصد، وأثر الصبر على الفرد والمجتمع، لذلك كان لزاماً عليّ أن أبين في المبحث الرابع جزاء العاصين المخالفين لدين الله، فبينت ذلك من خلال المعنى العام، ثم الأهداف والمقاصد، ثم أثر المخالفة على الفرد والمجتمع، وبعد هذا كله ذكرت الخاتمة، وفيها أهم التوصيات، ثم المصادر والمراجع.

Educational foundations and their impact on the individual and society - Surat Al-Furqan verses (73-77) as a model

Dr. Riad Hussain Ahmed

Abstract :

I began my research this by talking in the first section about the characteristics of the servants of the Most Merciful, and they are those who if they recalled the verses of their Lord did not choose them deaf and blind, by explaining the general meaning of this verse, then moved to the statement of goals and purposes, and then the impact on the individual and society.

After talking about the character of the servants of Rahman, it became clear that I show in the second section how to reform the offspring and reform husbands, and this stems from the reform of parents for themselves with the piety of God Almighty, I showed it in the general meaning of the verse, then goals and purposes, then the impact of the reform of offspring on the individual and society, and what impact of non-reform on this nation, so it became necessary to show in the third section the reward of patient and loyal to God Almighty and pay their wages only to meet and greet and peace, imposed that in The general meaning, then showed the goals and purposes, and the impact of patience on the individual and society, so as if it is necessary to show in the fourth section the penalty of disobedient violators of the religion of God, I showed that through the general meaning, then goals and purposes, then the impact of the violation on the individual and society, and in the fifth section I chose to be a list of these Sunnah's, which is how to adhere to them and persist on them, but if not adhered to by society, it will turn the opposite, and I have shown that in the general meaning, and then the impact of distancing About the Sunnah's that God ordered to follow, and then came out with a conclusion for each topic showing the reward for each attribute of the servants of the Most Merciful, and after all this I mentioned the conclusion, and it contains the most important recommendations, then sources and references.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن هدىً للناس وهو خير المنزلين، خلق الإنسان من ضعف وهو أحسن الخالقين، تباركت ربنا وتعاليت ولك الحمد ملئ السموات والأرض بما أنعمت علينا وعلى عبادك الصالحين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

فكتاب الله جل وعلا لا يحتمله الشك ولا يتطرق إليه احتمال، كونه وحي بإذن من الله الكبير المتعال، يحمل الهداية للمهتدين، لمن تمسك به فهو من المفلحين، ومن أعرض عنه فهو من الخاسرين، فيه السعادة في الدنيا ويوم المعاد، وبه يصلح أمر هذه الأمة وجميع الأفراد، تبياناً لكل شيء هدىً ورحمةً وبشرى للعباد.

ومن هداه أن هذه النصوص القرآنية جاءت تدل على الأمر بالتخلق بالخلق الحسن، والابتعاد عن الرذائل التي من شأنها أن توقع البشر في المعاصي والذنوب، فهذه النصوص تتظافر لتصلح العباد ظاهراً وباطناً، جسداً وروحاً، فالغاية منها هو إظهار آثارها التربوية على مستوى الفرد والجماعة، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية على أسس تربوية تقوم على بناء الفرد وإبعاده عن عوامل التردي والانحطاط، والحفاظ عليه بالإيمان حتى يصبح من عباد الرحمن، الذين تمسكوا بالصفات التي وعدهم ربهم بها فأنجزوا وعدهم وثبتوا على دينهم؛ لأنهم أبعدوا أنفسهم عن الشبهات التي من شأنها أن تفسد الفرد والمجتمع، وتحاول هدم أركان هذه الأمة، ولهذا ارتأيت أن يكون بحثي هذا مختصاً بالجوانب التربوية العقدية والأخلاقية والاجتماعية، وهو بعنوان: الأسس التربوية وأثرها على الفرد والمجتمع، سورة الفرقان من الآيات (73 – 77) أنموذجاً.

وأو د أن أشير إلى أني قسمت باقي الآيات التي قبل هذه الآيات إلى بحوث أخرى تم دراستها بأوقات مختلفة لكي لا أطيل في هذا البحث، ولله الحمد والمنة.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

1. إن هذا ألموضوع يتعلق بكتاب الله عز وجل، وذلك بإظهار معانيه والمقاصد التي تحملها هذه الآيات.
2. له تعلق بحياة الفرد والجماعة، من حيث إنه يربيها على أسس تربوية شاملة ومستقيمة لا يزيغ عنها إلا هالك.
3. أن هذه الأسس جاءت تميز بين طرفين، طرف يتمسك بها، وطرف آخر أعمى بصره عنها، فأصبح من الخاسرين.
4. أن هذا الموضوع له عناية بحياة الأمة واستقامتها على الأزمان والعصور فهو يربي الأجيال على أساس تربوي خالص.
5. وضع الأفراد والمجتمعات على بصيرة من دينهم، مع حمايتهم من الوقوع في المحذور؛ لأن هذا الموضوع له تعلق بحياتهم الاجتماعية والعقدية والأخلاقية.

ثانياً: أهمية البحث

1- تكمن أهمية الموضوع في التعرف على مقاصد وأهداف هذه الآيات، وما لها من أثر على هذه الأمة.

2- أن هذه الأسس لها دور كبير في إصلاح المجتمع؛ لأنها تعالج كافة النواحي التي تحيط بالمجتمع مع غرس القيم والتقاليد والخصال

الحميدة في هذه الأمة.

3- يساعد هذا الموضوع على التوعية الصحيحة التي من شأنها رفع مستوى الأمة الأخلاقي والعقدي والتربوي.

4- أن هذا الموضوع له تعلق بصفات عباد الرحمن الذين أصبحوا عابدين، وأمسوا صادقين مستغفرين.

ثالثاً: أهداف البحث

1. إظهار الموضوعات الأساسية لسورة الفرقان.
2. تخليص المجتمع من المفاسد التي باتت تشكل خطراً على هذه الأمة.
3. تربية المجتمع تربية صالحة على أسس تربوية شاملة لكل نواحي الحياة.
4. بناء المجتمع على عقيدة سليمة خالصة من كل الشوائب.
5. التمسك بهذه الصفات الحميدة التي أمر بها تعالى.

رابعاً: الدراسات السابقة

هناك دراسات كثيرة متنوعة كلٌ حسب ما أختاره من موضوع، ومن هذه الدراسات هي على النحو الآتي:

1. البناء التربوي وآثاره في سورة الفرقان، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية بغزة (2021).
2. المبادئ التربوية من سورة الفرقان وتطبيقاتها في الأسرة، لعائشة عبد الله أحمد، مجلة العلوم التربوية/ السعودية (2020).
3. القيم الأخلاقية في ضوء سورة الفرقان، دراسة موضوعية، وهو بحث مقدم لنيل شهادة البكالوريوس في كلية الدراسات الإسلامية المصرية.

خامساً: منهج البحث

1. إتباع المنهج الاستقرائي من حيث حصر الآيات التي تتكلم عن التربية في سورة الفرقان.
2. الاستشهاد بالآية مع بيان المعنى العام، والأهداف، والمقاصد، والآثار.
3. الاعتماد في تفسير الآيات على كتب التفسير التي تخدم الموضوع وترتبط بالصلة المباشرة به.
4. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، والأحاديث النبوية والآثار إلى مصادرها، وأشير إلى صحة الحديث، مكتفياً بالصحيحين.
5. توثيق النصوص التي يتم نقلها توثيقاً علمياً دقيقاً.
6. الاعتناء بقواعد اللغة العربية، وعلامات الترقيم، كما هو منصوص عليه في البحث.
7. عدم إثقال الهوامش بالبطاقة الكاملة للمفسر، لذلك اختصرت هذا الأمر لعدم الإطالة.
8. اعتمدت على بعض التفاسير التي تتناول هذا الموضوع بصورة مباشرة وكاملة.

وهذا بتوفيق من الله تعالى، فما كان به من صواب فمن الله، وما كان به من تقصير فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله العلي العظيم.

سادساً: خطة البحث

المبحث الأول: الأساس التربوي الذي يعني بالعبادة:

المطلب الأول: التذكرة بآيات الله والموعظة بما جاءت به.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية.

المطلب الثالث: أثر الإيمان على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: من فوائد الإيمان بالله تعالى.

المطلب الخامس: أثر الإعراض عن الإيمان على

الفرد والمجتمع.

المطلب السادس: أهم نتائج الإعراض عن الإيمان.

المبحث الثاني: الأساس التربوي الذي يخص جانب العبادة:

المطلب الأول: الدعاء بإصلاح الذرية وأن يكون للمتقين إماماً.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية.

المطلب الثالث: أثر صلاح الذرية على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: أثر عدم صلاح الذرية على الفرد والمجتمع.

المطلب الخامس: الأمثلة على صلاح الأزواج.

المطلب السادس، أثر دعوة الآباء في صلاح الأبناء.

المبحث الثالث: الأساس التربوي العقدي:

المطلب الأول: جزاء المتقين الصابرين.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية.

المطلب الثالث: أثر الطاعة والصبر على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: الحياة السعيدة في الصبر.

المطلب الخامس: وصف القرآن للصابرين.

المطلب السادس: أهم نتائج الصبر للصابرين.

المبحث الرابع: الأساس التربوي الذي يختص بالعقيدة:

المطلب الأول: عقاب المخالفين لعباد الرحمن.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية.

المطلب الثالث: أثر المعصية على الفرد والمجتمع.

- أولاً: الأعمال الفاسدة والعقائد الباطلة.
- ثانياً: قساوة قلوبهم.
- ثالثاً: الإنفاق في وجوه الباطل.
- رابعاً: إثارة العداوة والحقد.
- خامساً: حب الدنيا.
- سادساً: الكذب والنفاق.
- سابعاً: الإعراض عن الحق.
- ثامناً: كثرة المخاصمة والشر.
- تاسعاً: فساد بواطنهم بسوء الاعتقاد.

المطلب الرابع: أهم نتائج العقاب للمخالفين لدين الله.

الخاتمة، ثم المصادر.

المبحث الأول:
الأساس التربوي الذي يعني بالعبادة

المطلب الأول: التذكرة بآيات الله والموعظة بما جاءت به:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[1]

المطلب الأول:

المعنى العام:

بين الله تعالى أن العبادة صفة تميزهم عن غيرهم وهي أنهم إذا ذكروا بآياته قالوا سمعاً وطاعة، فأخذوا بها ولم يبعدوا أسماعهم ولا أبصارهم عن ذكره تعالى، وهذا ما بينه ابن عاشور: «أن الله تعالى أراد من ذلك تمييز المؤمنين عن المشركين، وذلك بمخالفة حالة هي من حالات المشركين، الذين أن سمعوا دعوة الرسول ﷺ وما تشتمل عليه من آيات القرآن وطلب النظر في دلائل الوحدانية، فإنهم في ذلك إذا ذكروا بآيات الله خروا صماً وعمياناً كحال من لا يحب أن يرى شيئاً فيجعل وجهه على الأرض، لذلك استعير بالخرور لشدة الكراهية والتباعد بحيث أن حالهم عند سماع القرآن كحال

(1) سورة الفرقان: الآية 73.

الذي يخر الى الأرض لئلا يرى ما يكره بحيث لم يبق له شيء من التكوم والنهوض، فتلك حالة هي غاية في نفي إمكان القبول، ومنه استعارة القعود والتخلف عن القتال، وفي عكس ذلك يستعار الإقبال والتلقي والقيام للاهتمام بالأمر والعناية به، ويجوز أن يكون الخرور واقعاً منهم أو من بعضهم حقيقة؛ لأنهم يكونون جلوساً في مجتمعاتهم ونواديهم فإذا دعاهم الرسول ﷺ الى الإسلام طأطأوا رؤوسهم وقربوها من الأرض؛ لأن ذلك للقاعد يقوم مقام الفرار، لذلك جيء بالعلة منفية لتحصيل الثناء على المؤمنين مع التعريض بتفظيع حال المشركين الذين أصروا على الكفر والعمى عن آيات الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[1]، لذلك فإن قوله تعالى ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، حالان من ضمير يخروا، يراد بهما التشبيه بحذف حرف التشبيه، أي: يخرون كالصم والعميان بعدم الانتفاع بالمسموع من الآيات والمبصر منها مما يذكرون به، والمعنى العام: لم يخروا عليها في حالة كالصم والعمى ولكنهم يخرون عليها سامعين مبصرين، فيكون الخرور مستعاراً للحرص على العمل بنية وصفاء القلب»[2].

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

أن هذه الآية قد بينت أهداف ومقاصد كثيرة نذكر منها:

1. لا يخفى أن لهذه الآية الكريمة دلالتين: «دلالة بالمنطوق، ودلالة بالمفهوم، فقد دلت بمنطوقها على أن من صفات عباد الرحمن، أنهم إذا ذكروا بآيات الله لم يخروا عليها، ولم يكبّوا عليها في حال كونهم صماً عن سماع ما فيها من الحق، وعمياناً عن أبصاره، بل هم سامعين مطيعين لما فيه من الحق مبصرين له، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]».

2. «وقد دلت الآية بمفهومها أن الكفرة المخالفين، لعباد الرحمن الموصوفين في هذه الآيات، وذلك بأنهم لا يسمعون ما فيها من الحق، ولا يبصرونه، حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً، وقد جاء ذلك موضحاً في آيات أُخر من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]، لذلك فإن معنى خرور الكفار عن الآيات، هو في حال كونهم صماً وعمياناً، وهو كذلك في قيامهم عن إنكارها والتكذيب بها»[5].

3. «كما بينت الآية، أنهم إذا ذكروا بآيات ربهم فهم يحيون حياة عاقلة واعية، ويعايشونها معايشة وداد طيبة، فإذا قرؤوا، وسمعوا آيات الله تتلى عليهم، أو قفوا لها عقولهم وقلوبهم وأخذوا من نورها، وهديها، وهذا على عكس ما يلقي به الغافلون والجاهلون بآيات الله، حيث يخرون بين يديها كما يخر عابد الوثن على وثنه، فآيات الله لا تسمع الصم، ولا تهدي العمى، وإنما تهدي من نظر إليها بعقله، وأعطاها وجدانه ومشاعره، عند ذلك فقد يجني من ثمارها، ويأخذ من طيبها، ولهذا وجب على المسلم أن يطلب العلم والمعرفة، حتى يأخذ حظه من النظر في آيات الله، فينتفع بها وبهديها، ولكنه إذا أعرض عنها فإنه أشبه بالأعمى

(1) سورة نوح: الآية 7.
(2) التحرير والتنوير لأبن عاشور: 19/ 80 – 81.
(3) سورة الانفال: الآية 2.
(4) سورة لقمان: الآية 7.
(5) أضواء البيأن للشنقيطي: 6/ 80 – 81.

الـذي يسـتوي عنـده طلـوع الشـمس ومغيبهـا»[1].

4. «وفي ذلـك دلالـة عـلى أنـه لا ينبغـي للمؤمـن أن يكـون إمعـة في كل شيء، بـل يجـب عليـه أن يكـون عـلى بصـيرة مـن أمـره وعـلى يقـين واضـح وبـين»[2].

المطلب الثالث: أثر الإيمان على الفرد والمجتمع:

أن للإيـمان ثمـرات قـد يجـد لذتهـا المؤمـن الصـادق إذا صـدق مـع الله تعـالى بثباتـه عـلى هـذا الأمـر، فـلا يزيـغ عنـه؛ لأن فيـه الهـدى والصـلاح، لذلـك فـإن الإيـمان لـه آثـار نذكـر منهـا:

1 - **النـور التـام في كل شيء:** «إن الإيـمان الصـادق يقتـضي العمـل الصالـح مـن تقـوى الله، وإصـلاح ذات البـين، وطاعـة الله ورسـوله، فمـن كان قلبـه مطمئنـاً بالإيـمان بـالله تعـالى وبوحيه الى رسـوله، وباليـوم الآخر الـذي يبعـث فيـه الموتـى ويجزيهـم بأعمالهـم، يجـد نفسـه داعيـة لمـا ذكـر، وهـي مـن مجامـع الخـير والهـدى لـه في نفسـه ومـن يعيـش معهـم، وفي النظـام العـام للأمـة والدولـة، وأمـا غـير المؤمـن فـلا يجـد الـوازع والباعـث في نفسـه مـا يجـده المؤمـن، ولا يرجـو ويخـاف مـا يخافـه المؤمـن مـن ربـه، وإنـما يرجـو مـن النـاس أن يمدحـوه أو يعينـوه، ويخافهـم أن يذمـوه أو يعيبـوه، ويخشـى مـن غيرهـم أن يحتقـروه أو يعاقبـوه، ومـن شـأن قلـب المؤمـن أن يوجـل عنـد ذكـر الله تعـالى والوجـل استشـعار المهابـة والجـلال، أو الخـوف والفـزع، وهـو أنـواع يبعـث كل نـوع مـن الذكـر نوعـاً منهـا، وأعـلى أنواعـه شـعور المهابـة والعظمـة والإجـلال لربهـم، ويليـه الوجـل مـن جهـل العاقبـة، ومـن العقوبـة بالحجـاب والعـذاب، وهـذا الشـعور بأنواعـه آيـة الإيـمان الوجـداني وثمرتـه»[3].

2 - **وجـب لـه الخـير:** «لذلـك فالمؤمـن الصـادق يـزداد إيمانـاً إذا تليـت عليـه آيـات الرحمـن خـروا لهـا سـجداً وبكيـا، ويربـو لهـا شـعوره في قلبـه فيكـون وجدانـاً لا يحـوم حولـه شـك ولا ريـب، ولا يؤثـر فيـه مغالطـة ولا جـدل، فالإيـمان يزيـد بالكـم والكيـف، ومـن ذاق عـرف طعـم الإيـمان بإيمانـه بربـه جـل وعـلا، لذلـك فعليـه أن يتـوكل عـلى الله تعـالى، فيـوكل كل أمـوره لـه وحـده، والتـوكل أعـلى مقامـات التوحيـد، فالمؤمـن الموحـد الكامـل لا يتـوكل عـلى مخلـوق مربـوب لخالقـه مثلـه، فشـأن المؤمـن أن يطلـب كل شيء مـن سـببه، خضوعـاً لسـننه تعـالى في نظـام خلقـه، لذلـك أمرهـم الله بإقامـة الصـلاة، وأداؤهـا عـلى أتـم وجـه وأكملـه في أركانهـا، وآدابهـا وسـننها والخشـوع والتدبـر فيهـا؛ لأنهـا عـماد الديـن، وهـي أكمـل العبـادات الروحيـة البدنيـة والاجتماعيـة، لذلـك عـبر عنهـا بالإيـمان»[4].

3 - **الإيـمان يعـين عـلى تـرك المعـاصي والذنـوب:** «إن تقـوى الله في كل مـا يجـب أن يتقـى بمقتـضى دينـه وشرعـه، يجعـل لكـم بمقتـضى هـذه التقـوى ملكـة مـن العلـم والحكمـة تفرقـون بهـا بـين الحـق والباطـل، وتفصلـون بـين الضـار والنافـع، وتميـزون بـين النـور والظلمـة، وتزيلـون بـين الحجـة والشـبهة، لذلـك أمـر الله تعـالى في مواضـع كثـيرة مـن كتابـه باتقـاء الفتـن، فهـي عبـارة عـن تـرك جميـع المعـاصي والذنـوب قـدر مـا يسـتطاع مـن الطاعـات، واتقـاء الأسـباب الدنيويـة المانعـة مـن الكـمال وسـعادة الدارين بحسـب سـنن الله تعـالى في الكـون، كالنـصر عـلى الأعـداء، وجعـل كلمـة الله هـي العليـا، وكلمـة الذيـن كفـروا هـي السـفلى، وكـمال ذلـك يتوقـف عـلى معرفـة العلـم الواسـع بالكتـاب والسـنة، ثـم كانـت ثمـرة التقـوى العامـة

(1) التفسير القرآن ي للقرأن للخطيب: 10/ 60 - 61.
(2) تفسير إبن كثير: 6/ 119.
(3) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: / 113 - 114.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 114 - 115.

الكاملة هنا هو حصول ملكة الفرقان للمؤمنين والتي تميز بين الحق والباطل، مع تميز صاحبها بين الأشياء التي تعرض له من حكم وعلم وعمل، وكثير من الناس لم يتق الفتن في السياسة لقلة فطنتهم واختيارهم فعوقبوا عليها بتفرقهم حتى أزالت أملاكهم، لذلك فالتقوى نور لكم، وبسبب هذا الفرقان وتأثيره ما كان من تدنيس سيئاتكم لأنفسكم، فتزول منها داعية العود المؤدي إلى الإصرار المهلك، فيغفرها لكم بسترها، مع ترك العقاب عليها وهو صاحب الفضل العظيم، إذ جعل هذا الجزاء العظيم جزاءً للتقوى وأثراً لها»[1].

«فهؤلاء هم عباد الرحمن، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم عند ذكره، وصبروا على الأذى في سبيله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقهم الله تعالى، وهذه هي مظاهر التواضع فليس المقصود من جميع تلك الصفات، لذلك فإن بعض المؤمنين لا يجد ما ينفق منه وإنما المقصود من لم يخل بواحدة منها عند إمكانها، وهو مساعدة عباده الضعفاء والفقراء؛ لأن ذلك هو أدب المخبتين الصالحين»[2].

«كذلك فإن هذه الآية الكريمة هي مدح للمؤمنين على حسن تذكرهم وتأثرهم ووعيهم، كما أنها جاءت تعريض بالكافرين والمنافقين الذين يسقطون على باطلهم سقوط الأنعام على ما يقدم لها من طعام وغيره»[3].

المطلب الرابع: من فوائد الإيمان بالله تعالى وذكره:

إن لذكر الله تعالى فوائد عظيمة جليلة تجعل المؤمن في سعة من أمره؛ لأنه ثابت الاتصال مع الله تعالى وهي كالآتي:

1. إن المؤمن بالله ومتمسك بذكر الله تعالى، سيجعل له الله قلباً مطمئناً لا يزيغ عن الحق لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[4].

2. أولئك لهم البشرى، والخير كله، بما عملوا وصبروا على الحق فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾[5].

3. فالمؤمن له المحبة في القلوب؛ لأن الله جعل المحبة له في قلوب الناس، وقلوب أهل الخير لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾[6].

4. فزادهم الله جنات تجري من تحتها الأنهار ولهم في الآخرة أزواج غير أزواجهم مطهرين من كل شيء فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾[7].

5. وكذلك لهم البشرى في الدنيا من الخيرات الكثيرة التي وعدهم الله بها، ولهم في الآخرة النعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[8].

6. وهذا وعد من الله لهم أنه سيستخلفهم في الأرض، ويمكن لهم دينهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ**

(1) تفسير المنار: 9/ 538 – 540.
(2) التحرير والتنوير: 17/ 261.
(3) التفسير الوسيط للطنطاوي: 10/ 222.
(4) سورة الرعد: الآية 28.
(5) سورة الرعد: الآية 29.
(6) سورة مريم: الآية 96.
(7) سورة النساء: الآية 57.
(8) سورة يونس: الآية 64.

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

7. وقد زادهم تعالى بتكفير السيئات عنهم جزاءً بما عملوا من صالحات أعمالهم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

8. وكذلك وعدهم تعالى بأنه سيوفيهم أجرهم في الآخرة، من الرضا والبركة، والحياة الطيبة التي أدركوها بأعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[3].

9. أولئك هم أصحاب الجنة التي وعدهم تعالى بها فهم آمنون ولا يحزنون ولا يخافون في ذلك لومة لائم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

10. وهؤلاء هم الذين آمنوا فلا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

المطلب الخامس: أثر الإعراض عن الإيمان على الفرد والمجتمع:

ومن آثار الإعراض عن الإيمان هي كالاتي:

1- «إن هذه الآية قد صورت حال المؤمن المتلقي للقرآن، ويتلقاه بالقبول، ثم لا يفهمه ولا يتدبره، كحال الأصم والأعمى في عدم انتفاعه بما أنكب عليه، تقبيحاً لعدم التفهم والتدبر من المؤمن للآيات، وتحذيراً منه وتنبيهاً على أن الانتفاع بالقرآن الذي تفتح به بصائر الجميع، وتتسع له مدارك الناس، وتتهذب به أخلاق المجتمع، وتتزكي به النفوس، وتقوم به الأعمال، وتتقوم به أحوال الأمة، إنما يكون ذلك بتفهمه، وتدبره، دون مجرد تدبره بلا تفهم ولا تعقل»[6].

2- «إن الذين يعرضون عن القرآن، فهم الذين شبهوا بالصم، وهم لا يسمعون القرآن مطلقاً استغناء عن هدايته بضلالهم ومشاغبة للداعي، وهم لا يسمعون سماع فهم وتأمل، لتوهمهم عدم الحاجة إلى دين غير دين آباءهم؛ لأنهم قد شبهوا بالبكم لأنهم عرفوا الحق فأعرضوا عنه واستيقنوا صدق الرسول ﷺ وما جاء به من الآيات والدلائل، لكنهم أعرضوا عنها وجحدوا بها كِبراً وعناداً، وأنهم لم يبحثوا ولم يسألوا عن الحق فهم كالبكم والصم، فهم في الظلمات غارقون، لذلك فإن أثر الإعراض يجعل الفرد كالأعمى والأصم لا يرى الحق، ولا يسمع ما يتلى عليه لذلك وجب التدبر والتفهم لآيات الله تعالى حتى لا يدخل الفرد في حيز العمى»[7].

3- «إن الإعراض عن هدي الله تعالى هو اختلال لحال المسلم في الدنيا والآخرة، فيكون بمنزل ضنك، أي فيه عسر على نازله، وهو بمعنى عسر الحال مع اضطراب البال وتبلبله»[8].

4- «لذلك فإن المعرض تكون مجامع همه ومطامح نظره إلى التحيل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه، فهو متهالك على الازدياد خائف من الانتقاص غير ملتفت إلى الكمالات ولا

(1) سورة النور: الآية 55.
(2) سورة العنكبوت: الآية 7.
(3) سورة أل عمران: الآية 57.
(4) سورة البقرة: الآية 82.
(5) سورة يونس: الآية 26.
(6) تفسير ابن باديس: 1/ 235.
(7) تفسير المنار: 7/ 338 - 339.
(8) التحرير والتنوير: 16/ 331.

مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل؛ لأن الله تعالى يجعله في تلك الحالة وهو لا يشعر، وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش ولكن نفسه غير مطمئنة، فجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلاً لحالته الحسية بحالته المعنوية في الدنيا، وهي حالة عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة، فيكون ذلك العمى على الفرد عنوان ودليل على غضب الله عليه وإقصائه عن رحمته، لذلك فإن الله تعالى أبلغ الإنسان من يوم نشأته وحذره من الضلال والشرك، والحذر من الإعراض عن ذكر الله، وإنذارهم بعاقبة مثل حالهم»[1].

5- «أما المؤمنون فإنهم لا يعرضون عن ذكر الله، فإذا ذكرهم مذكر بحجج الله، لم يكونوا صماً لا يسمعون، وعمياً لا يبصرونها، ولكنهم أيقظوا قلوبهم، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذكرهم به، ويفهمون عنه ما ينهيهم عليه، فيوعون مواعظه آذاناً سمعته، وقلوباً وعته، فإن في ذلك نصرة لدين الله، وإبعاد المجتمع عن شر المفاسد التي تلحق به جراء الإعراض عن ذكر الله تعالى»[2].

6- «وهذا الأمر قد يؤدي إلى الاستكبار؛ لأن من يسمع آيات الله ثم يستكبر عنها فإنها تحمله على تكرار الكذب على الرسول ﷺ وتكرار الإثم، فلا جرم أن يكون كذاباً أفاكاً أثيماً بله ما تلبس به من الشرك الذي كله كذب وإثم»[3].

7- «لذلك فإن المعرض يكون لا أظلم منه، أي لا أحد أظلم منه؛ لأنه ظلم نفسه بحرمانها من التأمل فيما فيه نفعه، وظلم الآيات وذلك بتعطيل نفعها في بعض من أريد انتفاعهم بها، وظلم الرسول ﷺ بتكذيبه والإعراض عنه، وظلم حق ربه إذ لم يمتثل لما أراد الله تعالى منه، فهؤلاء هم المجرمون الظالمون الذين ذكروا بآيات الله فأعرضوا عنها، فكانوا سبب في إهلاك أنفسهم، وإهلاك مجتمعهم بهذه الحجج الواهية»[4].

8- «وأي العباد اظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها، أي: تناساها ولم يلقي لها بالاً، ونسي ما قدمت يداه تعد من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة التي جعلت على قلوبهم أغطية وأكنّة وغشاوة لئلا يفهموا شيئاً من القرآن والبيان، ولم يتوقف الأمر على ذلك بل صُبَّ في آذانهم وقراً فلا يسمعوا شيئاً من الرشاد، فلو دعوتهم إلى الهدى فلن يستطيعوا الاهتداء أبداً، فمن استمر على ذلك فله يوم تشيب فيه الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها، ولهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً، ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا ناصر، فهو يوم له مدة معلومة ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، فهذا هو حال الأمم السابقة والقرون الخالية، هلكت بسبب كفرهم وعنادهم، فليحذر المخالفون أن يصيبهم من عذابه شيئاً»[5]، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[6].

9- «فهذا هو مبلغهم من العلم الذي أوصلهم إلى هذه الدرجة وهي مداركهم الباطلة وضلالهم الذي جعل سبيلهم حياة زائلة هي همهم الأكبر وشغلهم الشاغل لذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالإعراض عنهم؛ وذلك لأنهم أعرضوا عن ذكر الله وهو القرآن العظيم، والتولي عن الذكر فحق أن يكون جزائهم عن ذلك الإعراض إعراضاً عنهم،

(1) التحرير والتنوير: 16/ 331 - 332.
(2) تفسير الطبري: 316/ 19.
(3) التحرير والتنوير: 331/ 25.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 21/ 234.
(5) تفسير ابن كثير: 5/ 155 - 156.
(6) سورة الكهف: الآية 57.

فأما الإعراض فهو مستعار لترك المجادلة أو لترك الاهتمام بسلامتهم من العذاب وغضب الله، وأما التولي فهو مستعار لعدم الاستماع أو لعدم الامتثال؛ لأنهم أرادوا الحياة الدنيا بعدم الإيمان بالآخرة، وهذا هو مبلغهم من العمل لأنهم لو آمنوا بها على حقيقتها لأرادوها ولو ببعض أعمالهم، وهذا هو سبب جهلهم بوجود حياة أخرى لكن ذلك تحقير لهم وازدراء بهم بقصور معلوماتهم، والله أعلم بمن ضل وتنكب عن سبيله، وهو يعلم ما بداخلهم فلا تتحسر عليهم يا محمد وهو أعلم بمن اهتدى»[1].

10- «فهؤلاء يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والغيظ والعداوة والبغضاء لله ورسوله وللمؤمنين، فوجب أن تعرض عنهم وقل لهم قولاً بليغاً، والإعراض عنهم يكون بأمرين: الأول: ألا يقبل منهم عذر ولا يغتر بهم، فإن من لا يقبل عذر غيره ويستمر على سخطه قد يوصف بأنه معرض عنه غير ملتفت إليه، والثاني: أن هذا يجري مجرى أن يقول له اكتف بالإعراض عنهم ولا تهتك سترهم، ولا تظهر لهم أنك عالم بما في بواطنهم، فإن من هتك ستر عدوه وأظهر له كونه عالماً بما في قلبه فربما يجزئه ذلك على أن لا يبالي بإظهار العداوة فيزداد ذلك الشر، ولكن إذا تركه على حاله بقي في خوف ووجل فيقل الشر»[2]، «وأزجرهم عن النفاق والمكر والكيد والحسد والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة، وقل لهم في أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً يؤثر بهم، فالله لا يغني عنه شيئاً يمكن منكم إخفاءه، فطهروا قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله، ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار، فإن واظبتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر للكل بقاؤكم على الكفر، عند ذلك يلزمكم السيف لغرض تطهيركم من دنس الإعراض»[3]، فقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾[4].

«فإن لهم في الدنيا والآخرة أنكالاً وهي عبارة عن بقاء النفس في قيد التعلقات الجسمانية واللذات البدنية، فإنها في الدنيا لما أكتسب ملكه تلك المحبة والرغبة، فبعد البدن يشتد الحنين، مع إن آلات الكسب قد بطلت فصارت تلك كالأنكال والقيود المانعة له من التخلص إلى عالم الروح والصفاء، ثم يتولد من تلك القيود نيران حارقة، فإن من شدة ميلها إلى الأحوال البدنية وعدم تمكنها من الوصول إليها يوجب حرقة شديدة كمن تشتد رغبته في وجدان الشيء، ثم إنه لا يجده فإنه يحترق قلبه عليه، فذلك هو الجحيم، حتى يتجرع غصة الحرمان وألم الفراق، وبسبب هذه الأحوال بقي محروماً عن تجلي نور الله والانخراط في سبيله، فذلك هو العذاب لمن أعرض»[5].

11- «فالذي يتمسك بالقرآن هدي إلى طريق مستقيم، فجعله الله تعالى سبباً كاملاً جامعاً لوسائل الهدي، فمن فطر الله عقله ونفسه على الصلاحية لقبول الهدى سريعاً أو بطيئاً أهتدى به، ومن فطر الله قلبه على المكابرة، أو على فساد الفهم ضل فلم يهتدِ حتى يموت على ضلاله، فأطلق اسم الهدى واسم الضلال، وأسند كلاهما إلى الله تعالى؛ لأنه جبار القلوب على فطرتها وخالق وسائل ذلك ومدير نواميسه وأنظمته»[6].

---

(1) التحرير والتنوير: 27/ 116 - 119.
(2) تفسير الرازي: 124/ 10.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 124/ 10.
(4) سورة النساء: الآية 63.
(5) ينظر: تفسير الرازي: 30/ 689 - 690.
(6) التحرير والتنوير: 23/ 391.

«ولهذا فقد حذر تعالى المؤمنين عن التخلي عن القرآن زمن عدم خشوع قلوبهم، والتحذير منصب إلى ما حدث لأهل الكتاب من قسوة القلوب بعد طول الأمد عليهم في مزاولة دينهم، فليحذر الذين آمنوا من أن يكونوا معرضين عن كتابهم كحال الذين كفروا، وخشية أن يكونوا مثلهم على حدثان عهدهم بالدين، وليس المقصود عذر الذين أوتوا الكتاب بطول الأمد عليهم؛ لأن طول الأمد لا يكون سبباً في التفريط فيما طال فيه الأمد بل الأمر بالعكس ولا قصد تهوين حصوله للذين آمنوا بعد أن يطول الأمد؛ لأن ذلك لا يتعلق به الغرض قبل طول الأمد، فقصد في ذلك النهي عن التشبه بأهل الكتاب في عدم خشوع قلوبهم ولكنه يفيد تحذير المؤمنين بعد أن يطول الزمان من أن يقعوا فيما وقع به أهل الكتاب من قسوة القلوب، وذهاب الإيمان، وعدم الخشوع»[1]، «فنبه تعالى على عاقبة ذلك التشبيه تحذيراً من أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل الكتاب من قبل، فنسوا ما أوصوا به فخالفوا أحكام شرائعهم ولم يخافوا عقاب الله فإنهم يأخذون عرض هذا الأدنى فينبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فصار ديدناً لهم رويداً رويداً حتى طبعوا بذلك، فقست قلوبهم، فتمردت على تغير أحكام الدين؛ لأنهم فاسقون تجاوزوا ذلك الحد من القسوة فنبذوا دينهم وبدلوا كتابهم وحرفوه وأفسدوا عقائدهم فبلغوا حد الكفر»[2].

المطلب السادس: نتائج الإعراض عن الإيمان بالله تعالى

أهم نتائج الإعراض عن الإيمان هي كالآتي:

1. إن الإعراض عن ذكر الله يجلب لصاحبه نتائج سيئة، وعواقب وخيمة، ناتجة عن الاستهانة بدين الله وتعاليمه.

2. إن الإعراض عن دين الله يجعل صاحبه من أشد الناس ظلماً لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[3].

3. ومن نتائجه الأخرى هو جعل الأكنة على القلوب حتى لا تعد تفقه الحق الذي جاءها فأبعدت عن ربها فأصابها السوء لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[4].

4. انتقام الله تعالى من المعرضين عن التذكرة التي جاءتهم فأعرضوا عنها بسبب استكبارهم وظلمهم لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾[5].

5. فالمعرض له حياة مليئة بالمعيشة القاسية الصعبة لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾[6].

6. ولهذا فإنه لم يسلم من العذاب الصعد الذي يصيبه في الآخرة كما قال تعالى: ﴿**لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن**

(1) ينظر: المصدر نفسه: 27/ 391 – 393.
(2) ينظر: المصدر السابق: 27/ 391 – 393.
(3) سورة الكهف: الآية 57.
(4) سورة الكهف: الآية 57.
(5) سورة السجدة: الآية 22.
(6) سورة طه: الآية 124.

﴿يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[1].

7. إضافة إلى أنه لم يسلم من تسليط الشياطين عليه حتى يضلوه عن سبيل الله لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2].

8. فما بالهم معرضين عن التذكرة، لذلك سماهم القرآن بأولئك هم حمر مستنفرة لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[3].

9. وبعد هذا كله جاءهم الإنذار الشديد بمثل صاعقة عاد وثمود لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[4].

10. المعرض له الويل؛ وذلك لقساوة قلبه، وشقائه وعدم سلوكه في سلك المؤمنين لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[5].

ويرى الباحث أن المعرض عن ذكر الله أصابته نتائج وخيمة، من جراء إعراضه عن القرآن، فما بال حال هذه الأمة التي أعرضت عن ذكر الله، فأصابها ما أصابها من الحيرة والقلق والظلم؛ لأنها صمت آذانها، وعميت أعين أفرادها عن رؤية الحق، فاتجهوا بذلك إلى أعمال لا تستقيم مع دين الله، فأورثها الله تعالى المهالك لا تزال تحيط من كل جانب، لكنها إذا رعت في دين الله الحق فلها الخير كله، والله أعلم.

المبحث الثاني:

الأساس التربوي الذي يخص العبادة:

المطلب الأول: الدعاء بإصلاح الذرية وأن يكون للمتقين اماماً

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[6]

المعنى العام:

لقد بين سبحانه وتعالى أن عباده يرغبون في دعائهم أن يرزقهم ذرية صالحة وأن يصلح أزواجهم لكي يطيعوه ولا يعصوه وأن يكونوا قدوة صالحة في هذه الأمة فبين ذلك ابن كثير بقوله: «وهذه صفة عباد الرحمن أنهم يسألون الله تعالى أن يخرج من أصلابهم ومن ذرياتهم من يوحد الله ويعبده، فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، وأنهم بذلك لم يريدوا منه صاحبة ولا جمالاً، ولكنهم أرادوا أن يكونوا مطيعين، فلا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو أخاً حميماً مطيعاً لله عز وجل، وأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير، هداة مهتدين دعاة لعمل الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً الى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً»[7]، ولهذا ثبت في صحيح مسلم ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أن رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإنسان انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»))[8].

(1) سورة الجن: الآية 17.
(2) سورة الزخرف: الآية 36.
(3) سورة المدثر: الآيات 49 – 50.
(4) سورة فصلت: الآية 13.
(5) سورة الزمر: الآية 22.
(6) سورة الفرقان: الآية 74.
(7) تفسير القرآن العظيم: 6/ 119 – 120.
(8) اخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، 1255/ 3، برقم

«وهذه الصفات إن توفرت في المرأة الصالحة والذرية الصالحة فقد أستمسك الإنسان بالعروة الوثقى التي توصله إلى شاطئ النجاة، وهذا ما ذكره الشيخ الشعراوي رحمه الله: «أنهم سألوا الله عز وجل بأن يهب لهم من ذرياتهم أولاداً ملتزمين بمنهج الله، ولا يحيدون عنه، ولا يكلفونهم ما لا يطيقون به من قول أو فعل؛ لأن الولد إذا جاء على خلاف هذه الصورة كانت مصيبة كبرى لوالديه، بدليل أن الرجل قد يسرف على نفسه بأنواع المعاصي، وقد يقصر في حق الله، ولكنه قد يحزن إذا فعل ولد مثل فعله، فالأب قد لا يصلي، لكنه يحث ولده على الصلاة، ويفرح له إن صلى وأستقام، وأن يعوض ما فاته من الخير والجمال في ابنه، ولا يحب الإنسان أن يرى غيره أحسن منه إلا ولده؛ لأنه امتداده وعوضه فيما فات، فقرة الأعين هي امتداد واستقرار وثبات، فالمعنى أن تكون الزوجة صالحة وعلى خلق وأدب وجمال، بحيث ترضي الزوج، فلا تمتد إلى غيرها، وتسكن عندها؛ لأنها استوفت كل الشروط، وأن يجعلهم أئمة يسيرون وفق منهج الله تعالى ولا يحيدون عنه، رفعة لهذه الامة»[1].

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

لقد احتوت هذه الآية على مقاصد وأهداف توحي بأنها تصب في صالح الفرد إذا أصلح نفسه وبصلاح نفسه تصلح ذريته ومن هذه الأهداف هي كالآتي:

1. «دلت هذه الآية على صفة وهدف ثالث للمؤمنين بأنهم يعنون بانتشار الإسلام وتكثير أتباعه فيدعون الله أن يرزقهم أزواجاً وذريات تقر بهم أعينهم، فالأزواج يعنون بإتباع الإسلام وشرائعه فقد كان لبعض أزواج المسلمين مخالفات أزواجهم في الدين، والذريات إذا نشأوا، نشأوا مؤمنين، وقد جمع ذلك لهم في صفة قرة أعين، فإنها جامعة للكمال في الدين واستقامة الأحوال في الحياة إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بالأزواج وأبناء مؤمنين، ومن أجل ذلك جعل الله تعالى دعاؤهم هذا من أسباب جزائهم الجنة وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقرَّة أعينهم إذ لا يناكد حظ النفس حظ الدين في أعمالهم، ومن مقاصدها الأخرى أنهم سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم، وسألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله تعالى إلى الإيمان أن يجعلهم قدوة يقتدى بهم المتقون، وهذا يقتضي أنهم يسألون لأنفسهم بلوغ الدرجات العظيمة من التقوى فإن القدوة يجب أن يكون بالغاً أقصى غاية العمل الذي يرغب المهتمون به الكمال فيه، وهذا يقتضي أيضاً أنهم يسألون أن يكونوا دعاة للدخول في الإسلام وأن يهتدى الناس إليه بواسطتهم، وأن يكون كل واحد منهم إماماً يقتدي به الناس في كل عمل أُريد به الخير والرفعة»[2].

2. «وجب على الإنسان ألا يمد عينيه إلى غيره إذا وجد في أولاده صفات الخير والأدب والجمال، فإنه يرى في ذلك كل تطلعاته، وكل ما يتمناه، فلا يتطلع الى غيرهم، والولد حين يكون على هذه الصورة، فأنه يريد والديه في الدنيا والآخرة؛ لأنه ولد صالح لا ينقطع بره بوالديه لموتهما، إنما يظل باراً بهما حتى بعد الموت فيدعوا لهما، وفي الآخرة يجمعهم الله جميعاً في مستقر رحمته، لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم**

(1631).

(1) تفسير الشعراوي: 17/ 10522 – 10524.

(2) التحرير والتنوير: 19/ 81 – 83.

﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]، وهذا كله في الأزواج وفي الأولاد هبة ومنحة من الله، وأنهم على منهج واحد لا تحكمهم الأهواء فتفرقهم كالأمراء مثلاً، نصرة لهذه الأمة، ورفعة لهم ولمجتمعهم»[2].

المطلب الثالث: أثر صلاح الذرية على الفرد والمجتمع:

إن لصلاح الذرية آثاراً عظيمة لها وقعها على الفرد والمجتمع من خلال صلاحه واستقامته نذكر منها:

1. الدعاء لهم في كل وقت وحين: لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]، «وجب على الإنسان أن لا يغفل بالدعاء للوالدين والتفكر في مستقبله بأن يصرف عنايته الى ذريته كما صرفها إلى أبويه ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه، وإصلاح الذرية يشمل الهامهم الدعاء للوالد، فإن المرء يلقي من إحسان أبنائه اليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، ولأن دعوة الأب لأبنه مرجوة الإجابة»[4].

ويرى الباحث أن الدعاء إذا صدر من كل أب لأبنه فهنا صلح حال الأبناء وبهذا الصلاح صلح المجتمع كله وكان أسوة حسنة بين الأمم، وليس هذا فقط، بل صلاح الدين والدنيا مع ابتعاد الأفراد عن المعاصي والذنوب، وهذا رفعة لأمتهم ودينهم، والله أعلم.

2. «إن الذرية الصالحة هي رغبة المؤمن في أن يصل عمله الصالح إلى ذريته، وأن يؤنس قلبه شعوره بأن في عقبه من يعبد الله ويطلب رضاه، والذرية الصالحة هي أمل العبد الصالح؛ لأن بها صلاح المجتمع، وهي أثر عنده من الكنوز والذخائر، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة، وكذلك الدعاء فقد يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل إلى الأجيال المتعاقبة في طاعة الله، وشفاعته إلى ربه»[5].

3. «الحفظ بصلاح الأب: وذلك فإن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهله حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم»[6].

وهذا خير دليل لصلاح المجتمع؛ لأن دعاء الوالد سيصلح الذريات على التعاقب فبذلك صلح حال الناس وقلت الابتلاءات، ونضج الناس في أرزاقهم وحياتهم ودينهم، والله أعلم.

4. «وهذا يبين أن الرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال إذ كنز المال لا يليق بالصلاح، وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بإصلاح الأبناء في كل نواحي الحياة»[7].

وهذا أيضاً يدل على أن الإنسان لا يفكر بتوفير المال لذريته، بل يجعل الأمر إلى الله، ولكن يوفر لهم العلم والهدى؛ لأن المال يفنى ويبقى العمل الصالح، فإذا أصلحت الأجيال المتعاقبة على أثر الدعاء، عندها نرى أن الأفراد والمجتمعات ساد بها الأمن والأمان والخير والبركة، مع كثرة أفراد البلد، والله أعلم.

(1) سورة الطور: الآية 21.
(2) تفسير الشعراوي: 17/ 10523 – 10524.
(3) سورة الاحقاف: الآية 15.
(4) التحرير والتنوير: 26/ 33 – 34.
(5) في ظلال القرآن: 6/ 3263.
(6) تفسير البغوي: 3/ 211.
(7) تفسير الرازي: 21/ 492.

5. «رفع درجة الذرية بالآخرة: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]، «فالذين آمنوا بالله وصدقوا بإيمانهم ألحق الله بهم ذرياتهم بإيمان، وألحقهم بهم في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم إكراماً لآبائهم المؤمنين، وما أنقصنا آبائهم من أجور أعمالهم من شيء، وبهذا يرفع الله شأن المؤمنين في الدنيا والآخرة، بسبب صلاحهم وصلاح أبنائهم، ليقر الله بهم أعينهم»[2].

«ومما تجدر الإشارة إليه أن المتقين هم الذين أتقوا الشرك والمعصية وعملوا الصالحات، أي بوجود الإيمان يصير ولده من أهل الجنة، ثم إن الأب إذا أرتكب صغيرة أو كبيرة لا يعاقب به ولده، بل الوالد، ربما يدخل الجنة الابن قبل الأب، ويدل ذلك على أن الولد الصغير يشفع لأبيه وذلك إشارة الى الجزاء»[3].

6. «إن الله تعالى ألحق بهم ذرياتهم في الجنة فضلاً منه على الذين آمنوا دون عوض، احتراسا من أن يحسبوا أن إلحاق ذرياتهم بهم يعد عطاء نصيب من حسناتهم لذرياتهم ليدخلوا به الجنة على ما هو متعارف عندهم من فك الأسير، وحمالة الديات، وخلاص الغارمين، وعلى ما هو معروف في الانتصاف من المظلوم للظالم وبالأخذ من حسناته وإعطائها للمظلوم، وهو كناية من عدم انتقاص حظوظهم من الجزاء على الأعمال الصالحة، وكل إنسان يعم أهل الآخرة كلهم؛ لأن كل مقرون مرتهن بما كسب والمتقون لما كسبوا من العمل الصالح كان لازماً لهم مقترناً بهم لا يلبسون منه شيئاً، جزاء لما كسبوا من العمل الصالح فألحقت بهم ذريتهم في جنة النعيم إكراماً لآبائهم ولولا تلك الكرامة لكانت معاملتهم حسب أعمالهم»[4].

7. دعوة الملائكة للصالحين: «وهو أن الله تعالى قيض للمؤمنين ملائكة يدعون لهم ولأزواجهم وذرياتهم الصالحين بظهر الغيب، فهم يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب»[5].

ويرى الباحث أن هؤلاء الصالحين هم من سيعمرون الأرض بالإصلاح وذلك بإقامة الصلاة، والدفاع عن دينهم الذي ارتضاه لهم الله تعالى، والله أعلم.

المطلب الرابع: أثر عدم صلاح الذرية على الفرد والمجتمع:

أن عدم صلاح الذرية له آثار كبيرة على الفرد والمجتمع قد تؤدي إلى الانهيار؛ لأن ذلك يكون سبب في عدم استقرار الناس في بيوتهم ولا في مجتمعهم، وهي كالاتي:

1) إن الصلاح من أفضل الصفات بدليل أن إبراهيم (عليه السلام) طلب الصلاح لنفسه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[6]، وطلبه للولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[7]، وطلب سليمان (عليه السلام) بعد كمال درجته في الدين والدنيا فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[8]، وذلك يدل على أن الصلاح

(1) سورة الطور: الآية 21.
(2) تفسير الطبري: 22/ 467.
(3) تفسير الرازي: 28/ 209.
(4) التحرير والتنوير: 27/ 50 – 51.
(5) تفسير ابن كثير: 118/ 7.
(6) سورة الشعراء: الآية 83.
(7) سورة الصافات: الآية 100.
(8) سورة النمل: الآية 19.

أشرف مقامات العباد»[1].

2) «إن نعمة صلاح الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً، فإن صلاح الأبناء قرة عين الآباء، ومن صلاحهم برهم بوالديهم»[2].

3) «إن صلاح الآباء سبب لصلاح الأبناء واستقامتهم، وإن أعظم فساد للأبناء هو سبب تفريط الآباء بحقوق الله تعالى والبعد عن منهجه، مع تغافل الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب، فكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة، وعرضة للهلاك في الدنيا والآخرة، وكل هذا من عواقب تفريط الآباء في حقوق الله تعالى، وإضاعتهم لها، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح، حرمهم الانتفاع بأولادهم، وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم من عقوبة الآباء، فمن حرص على طاعة الله تعالى وامتثال أوامره ونواهيه، رزقه الله من الذرية الصالحة ما تقر به عينه، وتطيب له نفسه، فكم من والد أشقى ولده في الدنيا والآخرة، بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، ويحسب أنه يرحمه، ولكنه قد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، ففوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، فإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من الآباء، فإن تمكن الابن من أسباب الفساد في الشهوات فإن ذلك يفسد عليه دينه وأخلاقه فمن الصعب إصلاحه وإرجاعه الى حيث كان»[3].

4) «إن الصلاح هو الذي يبلغهم درجة الإمامة في الطاعة ويقتدى بهم من أجل صلاح أبنائهم، لذلك فإن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها»[4]، لقوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[5].

5) «إن صلاح الذرية يعود على صلاح الآباء إذا كان لديهم تقوى الله عز وجل، وهذا تأكيد على الآباء بأن لا يشغلهم أي شيء عن الشفقة على الولد، ومن القبيح الفاحش أن يشتغل الأب بعمله في البستان مع الأحبة والإخوان عن تحصيل قوت الولدان، وكيف لا يشتغل أهل الجنة بما في الجنة من الحور العين عن أولادهم حتى ذكروهم فأراح الله قلوبهم فالحق بهم ذريتهم في الإيمان، أما الفاسق الذي يبذر ماله في الحرام ويترك أولاده يتكففون وجوه اللئام والكرام، فهؤلاء سينحرفون عن الطريق المؤدي للاستقامة والهدى، فيؤدي ذلك إلى عدم صلاحهم فيكونون عالة على مجتمعهم وأهليهم، وهذا يدل على أن من يورث أولاده مالاً حلالاً يكتب له به صدقة، فالذي يتقي الشرك والمعصية ويحافظ على الإيمان يصبح ولده من أهل الجنة، فإذا أرتكب الأب كبيرة أو صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد يعاقب وربما دخل الابن الجنة قبل الوالد، ففي ذلك إشارة الى أن الولد الصغير يشفع لأبيه عند الجزاء»[6].

6) «لذلك أخبر الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه لهم، أن المؤمن إذا ثبت على الإيمان الحق الله به ذريته وإن لم يبلغوا بعملهم درجة الآباء وذلك لكي تقر أعين الآباء بهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذلك»[7].

(1) تفسير الرازي: 345/ 26.
(2) التحرير والتنوير: 148/ 23.
(3) تحفة المودود لأبن القيم: 242/ 1.
(4) ينظر: تفسير الرازي: 24/ 487.
(5) سورة الشعراء: الآية 84.
(6) تفسير الرازي: 28/ 208 – 209.
(7) تفسير ابن كثير: 7/ 402.

7) «ومن أهم الأسباب التي تعين على إصلاح الذرية هو اختيار الزوجة الصالحة يرضاها قرينه له ويقطع معها صحراء الحياة، فتكون له السكن والاطمئنان، فيجب عليه أن لا يسير وراء الجمال، وعلو النسب، أو جاه دنيوي، بل يطلب ذات الدين أولاً، فإنه إن استقامت الأخلاق وتلاءمت النفوس والتقت القلوب، حسنت العشرة، عند ذلك قامت الأسرة على دعائم الفضيلة والخلق الكريم، فأنبت الله لهم الذرية الصالحة، وأما أن كان عكس ذلك، بأن فسدت الأخلاق، ولم يكن الدين، وتقطعت الروابط، وكاد كل منهما لصاحبه، أو فسدت الأهواء عند ذلك ران على القلوب، ولا يكون نبت الذرية إلا نكدا»[1].

8) «أمر الله تعالى بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين وذلك يقتضي العموم، لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2].

«وقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ وهذه نهاية المبالغة في المنع من إيذائهما، فصرح ببيان السبب في وجوب التعظيم؛ لأنهم قاموا بتربيته منذ الصغر، لذلك حكى تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) كيف تلطف في دعوة أبيه من الكفر إلى الإيمان في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[3]، وقد كان أباه يؤذيه وكان (عليه السلام) يتحمل ذلك، وإذا ثبت ذلك في حق إبراهيم (عليه السلام) فإن يثبت مثله في حق هذه الأمة لقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]، لذلك فالإحسان اليهما هو أن لا يؤذيهما البتة وعليه أن يوصل لهم من المنافع قدر ما يحتاجان إليه، فيدخل في دعوته إلى الإيمان أن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق وإن كانا فاسقين»[5].

«ولذلك فقد تكررت الوصايا ببر الوالدين في القرآن وقد حرض عليها النبي ﷺ في مواطن عديدة فكان بر الوالدين أجلى مظهر من مظاهر هذه الأمة منه في غيرها، وقد كان من بركات أهلها بحيث لم يبلغ بر الوالدين مبلغاً في أمة مبلغه في المسلمين، وقد دل ذلك على أن أمه حملته في بطنها متعبة من حمله تعباً يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووصفته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه، وفي ذلك الحمل والوضع فائدة له وهي فائدة وجوده الذي هو كمال حال الممكن وما ترتب على وجوده من الإيمان والعمل الصالح الذي به حصول النعم الخالدة، وما جاء بعد الحمل من إرضاعه الذي به علاج حياته ودفع ألم الجوع عنه وهو عمل شاق لأمه على تحمل كلفة الجنين والرضيع، لذلك وجب على الولد الإحسان اليهما إلى أن يبلغ أشده وأن يلهمه الله الشكر على نعمه عليه وعلى والديه، ومن جملة هذه النعم أن ألهمه الله تعالى الإحسان لوالديه حتى يكون ولداً باراً بهما»[6].

«ومن جملة نعمه على والديه أن سخر لهما هذا الولد ليحسن اليهما، فهذه من أهم النعم التي أنعم الله بها على الوالدين، لذلك وصى الله الإنسان أن لا يفتر عن الإحسان إليهما بكل وجه حتى الدعاء لهما بالفوز بالجنة والنجاة من النار، لذلك

(1) زهرة التفاسير لأبي زهرة: 2/ 727.
(2) سورة الاسراء: الآية 23.
(3) سورة مريم: الآية 42.
(4) سورة النحل: الآية 123.
(5) تفسير الرازي: 3/ 586 – 587.
(6) التحرير والتنوير: 26/ 29 – 31.

فقد خص الله تعالى زمان بلوغه الأشد؛ لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق فيكون له زوجة وأبناء فتكثر تكاليف المرأة فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء فيكونان مضنة أن تشغلهما التكاليف عن تعهد والديهما بالإحسان إليهما وأن لا يفتر عن الإحسان الى والديه، وأن لا ينشغل بالدعاء لنفسه عن الدعاء لهما وأن يحسن لهما بظهر الغيب حين مناجاته لربه[1]، «فلا جرم أن إحسانه إليهما حاصل بفحوى الخطاب كما في طريقة الفحوى في النهي عن إيذائهما، لذلك أمر الله تعالى بالإحسان في المشاهدة والغيبة وبجميع الوسائل التي من غايتها حصول النفع، لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[3]، وما من شكر الولد ربه على النعمة التي أنعمها الله على والديه إلا من باب نيابته عنهما في هذا الشكر، وهو من جملة العمل الذي يؤديه الولد عن والديه وأن يشكر جميع النعم الدينية كالإيمان والتوفيق ومن النعم الدنيوية كالصحة والجدة، كما وجب عليه أن لا يغفل عن التفكير في مستقبله بأن يصرف عنايته إلى ذريته كما صرفها الى أبويه ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه وإصلاح الذرية يشمل الدعاء إلى الوالد؛ وذلك لأن المرء يلقي من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما؛ ولأن دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة»[4]، «ولكن قد يكون الافتتان بالأموال والأولاد مدعاة لضروب من الفساد، فإن حب المال والولد من الغرائز التي يفرض الناس فيها الإسراف والإفراط إذ لم تهذب بهداية الدين، ولم تشذب بحسن التربية والتعليم»[5].

وأضاف: «بأن هذه الفتنة في الأموال والأولاد ما هي إلا اختبار وامتحان بما يشق على النفس فعله أو تركه أو قبوله أو إنكاره، فتكون في الاعتقاد والأقوال والأفعال والأشياء، وفتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على ذي فهم إلا أن الإفهام تتفاوت في وجوهها وطرقها، فأموال الإنسان عليها مدار معيشة، وتحصيل رغائبه وشهواته، ودفع كثير من المكاره عنه، فهو يتكلف في كسبها المشاق، ويركب الصعاب، ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال، واجتناب الحرام، ويرغبه في القصد والاعتدال، ثم أنه يتكلف العناء في حفظها، وتنازعه الأهواء في إنفاقها، فالشرع يفرض عيه حقوقاً مقدرة وغير مقدرة، كالزكاة ونفقات الأولاد والزوجة وغيرهم، والضابط لجميع أنواع البذل من صفات النفس كالسماحة والنماء، وهما من أركان الفضائل، ولجميع أنواع الإمساك: وهو البخل؛ لأنه من أمهات الرذائل، ولكل منهما درجات ودركات»[6].

«فأما الأولاد فهم ثمرة الفؤاد وأفلاذ الأكباد، فحبهم يلقيه الفاطر الحكيم في قلوب الأمهات والآباء، يحملها على بذل كل ما يستطاع بذله في سبيلهم من مال وصحة وراحة وغير ذلك، فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الآثام في سبيل تربيتهم، والإنفاق عليهم، وجمع الثروة لهم، حيث يحملهما ذلك على الجبن عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق أو الحقيقة، أو الملة أو الأمة، وعلى البخل

(1) ينظر: المصدر نفسه: 26 / 31 – 34.
(2) سورة الاسراء: الآية 24.
(3) سورة النمل: الآية 19.
(4) التحرير والتنوير: 26/ 31 – 34.
(5) تفسير المنار: 10/ 122.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 9/ 536.

بالزكاة والنفقات المفروضة، والحقوق الثابتة، دع الصدقات والتطوع والضيافة، كما يحملهما الحزن على من يموت منهم بالسخط على الرب تعالى والاعتراض عليه، وغير ذلك من المعاصي كالنوح وتمزيق الثياب ولطم الوجوه، ففتنة الأولاد لها جهات كثيرة، فهي أكبر من فتنة الأموال، وأكثر تكاليف مالية ونفسية وبدنية، فالرجل يكسب الحرام من أجلهم، ويأكل أموال الناس بالباطل من أجلهم كذلك، كما يفعل ذلك لكبائر شهواته»[1]، لقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[2].

«فإن قلت شهواته في الكبر فصار يكفيه القليل من المال، يقوي في نفسه الحرص على شهوات أولاده، وما يكفي الواحد لا يكفي الآحاد، وفتنة الأموال جزءٌ من فتنة الأولاد، فتقديمها وتأخير فتنة الأولاد، من باب الانتقال من الأدنى إلى الأعلى، فالواجب على المؤمن اتقاء خطر الفتنة الأولى بكسب المال من الحلال، وإنفاقه في سبيل الله في أمور البر والإحسان، لكي يصلح الله تعالى له ذريته إذا أصلح حاله مع الله، كما وجب اتقاء الحرام من الكسب والإنفاق، واتقاء خطر الفتنة الثانية من جهة ما يتعلق بالمال وغيره، وبما أوجب الله تعالى على الوالدين من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل، وتجنبهم أسباب المعاصي والرذائل، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[3]».

«ولتذكير المؤمنين بما يعينهم على ما يجب عليهم من اتقاء الفتنتين، وهو إيثار ما عند الله عز وجل من الأجر العظيم لمن راعى أحكام دينه وشرعه في الأموال والأولاد، ووقف عند ضرورة حدوده، وتفضيله على كل ما عساه يفوته في الدنيا من التمتع بهما، لذلك فقد نرى أن كثيراً من الناس اليوم يخونون الله ورسوله في انتهاك الحرمات في دينهم، ويخونون أمتهم بثمن قليل أو كثير من المال يرجونه أو ينالونه من عدوهم، وقد يكون من مال الفقراء من أمتهم، أو خوفاً على مالهم وولدهم من سلطانه قبل أن يستقر له السلطان، وقد أسقطت الخيانة دولاً كبرى كانت أعظم دول الأرض قوة وبأساً بارتكاب رجالها الرشوة من أهلها، حتى مسخت فصارت دويلة صغيرة فقيرة؛ لأنها تخلت عن تعاليم دينها فسارت وراء شهواتها من أجل المال والأولاد، لذلك حذر سبحانه من هذه الفتن؛ لأنها أقسى على الإنسان وهو جاهل بما يفعله من أجل فتنتين، وهما المال والأولاد»[4].

المطلب الخامس: من الأمثلة على صلاح الأزواج هو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[5]:

1. **فعل الخيرات يصلح الذرية:** بين الرازي: «أن الله تعالى أستجاب له وأصلح له زوجه، أي أصلحها للولادة بأن زال عنها المانع بالعادة، أو أصلحها بأخلاقها وقد كانت على طريقة من سوء الخلق وسلاطة اللسان تؤذيه وجعل ذلك من نعمه عليه، أو انه سبحانه جعلها مصلحة في الدين، فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه في كونه داعياً إلى الله تعالى فكأنه (عليه السلام) سأل ربه المعونة

(1) تفسير المنار: 9/ 536.
(2) سورة الانفال: الآية 28.
(3) سورة التحريم: الآية 6.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 9/ 536 – 537.
(5) سورة الأنبياء: الآية 90.

على الدين والدنيا بالولد الصالح والأهل الصالحين جميعاً، وأن صلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ وبين تعالى مصداق ذلك فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ، وأراد بذلك زكريا وولده وأهله فبين أنه آتاهم ما طلبوه وعضد بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم أنهم يعملون الخيرات، وهذه المسارعة كانت في طاعة الله وهي من أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة، والتي هي السبب في الإصلاح»[1].

2. **العقوق يؤدي الى الفسق**: وهذا ما حصل مع الغلام الذي قتله الرجل الذي آتاه الله العلم والذي صاحبه موسى (عليه السلام) لطلب العلم منه؛ لأن أبواه كانا مؤمنين فخشي عليه من الكفر فقتله، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[2].

وأضاف: «أن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم على الأفعال المنكرة، وكانا أبواه يحتاجان الى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من يرميه بشيء من المنكرات وكان ذلك سبباً يؤدي بهما إلى الوقوع في الكفر والفسق، لذلك أباح الله له قتل الغلام خشية تولد منه هذه المفاسد بحق والديه، فقد يحمل ذلك الغلام على أبويه الطغيان والكفر؛ وذلك لأن أبويه يحاولان الذب عنه، أو موافقته لتلك الأفعال المنكرة، وقد كان يعاملهما معاملة الطغاة الكفار، فأراد تعالى أن يرزقهما ولداً خيراً من هذا الغلام زكاة ودیناً وصلاحاً، يكون باراً بهما؛ لأن صلاح الذرية من صلاح الوالدين»[3].

ويرى الباحث: أن عباد الرحمن طلبوا من ربهم إصلاح أزواجهم وذرياتهم لكي يكونوا عوناً لهم وتمكيناً من دينهم الذي أخلصوا به العبادة لله تعالى، فإن صلاح الذرية هو صلاح المجتمع بأسره، حيث يكون له إسوة حسنة من بين المجتمعات، فيؤخذ على أيدي أبنائه وافراده بأن يكونوا دعاة حق من أجل دينهم، فقال ابن عاشور: «أنه لما علم الله تعالى من تركيب عقل الغلام وتفكيره أنه عقل شاذ وفكر منحرف طبع عليه بأسباب معتادة من انحراف وقصور إدراك، وذلك من آثار تفضي إلى تلك النفسية وصاحبها في أنه ينشأ طاغياً كافراً، فأراد الله اللطف بالأبوين بحفظ إيمانهما وسلامة العالم من هذا الطاغي لطفاً أراده الله خارقاً للعادة جارياً على مقتضي سبق علمه، ففي هذا مصلحة للدين بحفظ أتباعه من الكفر، وهو مصلحة خاصة فيها حفظ الدين، ومصلحة عامة؛ لأنه حق لله تعالى، وهذا من التواضع لا من التعاظم؛ لأن مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره فناسبه التواضع»[4]، «ولا شك أن أخذ الغلام في هذه السن خير له ومصلحة قبل أن تلوثه المعاصي، ويدخل دائرة الحساب، فطهارته هي التي دعتنا إلى القبيل بأخذه، وكثيراً ما يكون الأولاد فتنة للآباء، والفتنة تأتي من حرص الآباء على الأبناء، والسعي إلى جعلهم في أحسن حال، وربما كانت الإمكانات غير كافية، فيضطر الأب إلى الحرام من أجل أولاده، وقد علم الحق أن هذا الغلام سيكون فتنة لوالديه، وهما مؤمنان ولم يرد تعالى لهما الفتنة، وقضى أن يأخذهما إليه على حال الإيمان، ولذا يعد من الغباء إذا مات لدينا طفل وهو صغير أن يشتد الحزن عليه، ونحن لا ندري ما أعد له من النعيم، ولا ندري أن من

(1) تفسير الرازي: 22/ 182.
(2) سورة الكهف: الآية 80.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 21/ 491.
(4) التحرير والتنوير: 13/ 16.

اخذ من أولادنا أنه لا يحدد له مسكن في الجنة؛ لأننا جميعاً تجري فينا حكمة الله تعالى كما يشاء»[1].

المطلب السادس: أثر دعوة الآباء للأبناء في الإصلاح:

إن دعوة الآباء للأبناء لها أثر في تصحيح واقع الأمة؛ لأنه إذا صلح أبنائها صلحت الأمة في كافة أطيافها، ومن هذه الآثار هي كالآتي:

1. أشار القرآن الكريم إلى دعوة الآباء للأبناء إلى الثبات على الدين، وعلى ملة الإسلام فقال تعالى: ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[2]، «فمن شأن أهل الحق والحكمة، أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم، وصلاح أبنائهم، وصلاح أمتهم، لغرض دوام الحق في الناس، بأن يوصوا أبنائهم بالثبات على التوحيد ليكونوا خلفاً من بعدهم في هذه الأمة»[3].

2. الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعدم الشرك به لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[4]، «وهذا ما ظهر على لسان لقمان وهو يحذر ابنه من الشرك لكونه ظلماً عظيماً؛ لأنه بين الله المستحق للعبادة وحده وبين من لا يستحق ذلك من الأوثان وغيرها من المعبودات»[5].

3. ضرورة نهي الآباء لأبنائهم عن الاختلاط مع الأشرار؛ لأن ذلك يودي بهم إلى الانحراف عن الدين والوقوع في الكفر، لقوله تعالى: ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**﴾[6].

4. يجب حث الأبناء على الاستقامة في كل أمورهم منعاً من الوقوع في غير مرضاة الله؛ لأن الله عالم بكل شيء لقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[7].

5. الدعوة لإصلاح الذرية بإقامة الصلاة؛ لأن في ذلك إصلاح للنفس وإصلاح للذرية لقوله تعالى: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾[8].

6. توعية الأبناء إلى عدم اليأس من رحمة الله تعالى؛ لأن الثقة بالله تعالى تزيد من الإيمان، وتعزز الروابط بين الله وبين المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[9].

7. التوكل على الله هو من دأب الصالحين، وهي من أعظم الأسباب التي تعين على الصبر والثبات، فقال تعالى: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[10].

8. التأكيد على الأبناء بالصبر والثبات على الشدائد، وعدم الانجراف وراء الشهوات التي تفتح لهم أبواب الشر فقال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[11].

---

(1) تفسير الشعراوي: 14/ 8970.
(2) سورة البقرة: الآية 132.
(3) التحرير والتنوير: 1/ 727.
(4) سورة لقمان: الآية 13.
(5) المنتخب في تفسير القرآن: 1/ 613.
(6) سورة هود: الآية 42.
(7) سورة البقرة: الآية 235.
(8) سورة إبراهيم: الآية 40.
(9) سورة يوسف: الآية 87.
(10) سورة إبراهيم: الآية 11.
(11) سورة لقمان: الآية 17.

9. دعوة الأبناء إلى التواضع وعدم الكبر؛ لأن في التواضع الرفعة، وفي الكبر الخذلان والطغيان، وتجنب الأبناء من الغرور والخيلاء والإعجاب بالنفس؛ لأن ذلك كله من المهلكات فقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

10. إرشاد الأبناء بضرورة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ذلك يصلح حال الأمة ويقوي إيمانها بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

11. إبعاد الأبناء عن حب الحياة الدنيا وعدم إيثارها على الآخرة؛ لأن الآخرة خير وأبقى، كما وجب الإبتعاد عن القساوة واستخدام صفة اللين والرحمة معهم حتى لا يخرجوا من دائرة الدين، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

12. غرس صفة الشكر لدى الأبناء لله تعالى؛ لأنه هو المنعم وهو المستحق للشكر، لقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4].

13. وهذا كله يعود إلى الإيمان بالله تعالى؛ لأن وعده حق وهو المتكفل بالإصلاح في كل نواحي الحياة، وله إلحاق الذرية بالوالدين فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5].

المبحث الثالث: الأساس التربوي العقدي:

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[6]

المطلب الأول: جزاء المتقين المخلصين الصابرين

المعنى العام: لقد أعد الله تعالى لعباده الصابرين الخير الكثير جزاءً بما صبروا؛ لأنهم ابتغوا وجه الله تعالى بإيمانهم، فقال الرازي: «إن الله تعالى لما عدد صفات المتقين بين بعد ذلك أنواع إحسانه إليهم وهي مجموعة من أمرين المنافع والتعظيم، أما المنافع: فهي في قوله: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ والمراد أولئك يجزون الغرفات، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[7] فيكون ذلك جزاء صبرهم، فذكر تعالى الصبر ولم يذكر المصبور عنه، ليعم ذلك كل نوع فيدخل في صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالى، وصبرهم على مشاق الطاعات، وكذلك صبرهم على مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس فلا وجه لقول من يقول المراد بالصبر على الفقر خاصة؛ وذلك لأن هذه الصفات إذا حصلت مع الغنى استحق من يختص بها الجنة كما يستحقه بالفقر»[8].

وأضاف: «أن الصفة الثانية وهي التعظيم: لقوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾، والتحية الدعاء بالتعمير والسلام أي الدعاء بالسلامة، فيرجع حامل التحية إلى كون نعيم الجنة باقياً غير منقطع،

(1) سورة لقمان: الآية 18.
(2) سورة لقمان: الآية 17.
(3) سورة آل عمران: الآية 159.
(4) سورة لقمان: الآية 12.
(5) سورة الطور: الآية 21.
(6) سورة الفرقان: الآية 75.
(7) سورة سبأ: الآية 37.
(8) مفاتيح الغيب: 24/ 487 – 488.

ويرجع السلام الى كون النعيم خالصاً عن شوائب الضرر، ثم هذه التحية والسلام يمكن أن يكون من الله تعالى لقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[1]، ويمكن أن يكون من الملائكة لقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2]، ويمكن أن يكون بعضهم على بعض»[3].

وأشار ابن كثير: «إلى أنهم خالدين فيها لا يموتون ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولاً، فحسنت منظراً وطابت مقبلاً ومنزلاً، ويلقون فيها التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام[4]، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[5]»، «وهؤلاء ساكنون سكون أمن وطمأنينة وقرار، لا يريدون التحول عنها، فقد حسن مستقرهم، وطاب مقامهم»[6].

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

إن لهذه الآية أهداف ومقاصد نذكر فيها:

1. «جاءت هذه الآية لكي تدل على أن هؤلاء المكرمون من عباد الله، الذين أضافهم سبحانه وتعالى اليه، انهم سيجزون الغرفة بما صبروا على التكاليف، والعبادات، وعلى مغالبة أهوائهم وشهواتهم، وأنه لولا صبرهم لأنحلت عزائمهم، وفترت هممهم، ولأختل توازنهم على السراط المستقيم.

2. أولئك جعلهم الله تعالى قدوة لأهل الإيمان، في الخير والإحسان؛ لأن أعمالهم كانت قائمة على طريق الحق والعدل، فهم أسوة حسنة لغيرهم من العباد، فلهم الأجر والثواب، وثواب من اقتدى بهم من المسلمين، وهذا على خلاف أهل الضلال، الذين يكون عليهم وزر ضلالهم، ووزر من ضل بضلالهم، لذلك وصفت هذه الآية جزاء المتقين، وجزاء الكافرين.

3. التأكيد على الصبر الذي هو عنوان كل شيء، فبالصبر، استطاعوا أن يصمدوا أمام الشدائد، وأن يحتملوا ما يصابون به في أموالهم وأنفسهم، مستسلمين لأمر الله، راضين بقضائه، وبالصبر قهروا نوازع أهوائهم، فالصبر هو زاد المؤمن على طريق الإيمان، وهو القوة التي تشده إلى الله، وتمسك به على طريق الخير والحق»[7].

4. «لذلك فإنها قد بينت أن الجنة تستلزم أن أصبر على مشاق الطاعات، وأن أقدر الجزاء على العمل، أستحضره في الآخرة، ولو أستحضر الإنسان الثواب على الطاعة لسهلت عليه وهانت عليه متاعبها، كما أنه لو أستحضر عاقبة المعصية وما ينتظره من جزائها لأبتعد عنها وعن شرها، خوفاً من الوقوع في الشر، فالتكاليف الشرعية تستلزم الصبر، فالحق يريد منا ألا نعتزل التكاليف عن جزائها، بل نضع الجزاء نصب الأعين قبل القدوم على العمل»[8].

---

(1) سورة يس: الآية 58.
(2) سورة الرعد: الآيات 23 – 24.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 24/ 488.
(4) تفسير القرآن العظيم: 6/ 120 – 121.
(5) سورة هود: الآية 108.
(6) التفسير القرآن ي للخطيب: 10/ 63.
(7) ينظر: المصدر نفسه: 10/ 62 – 63.
(8) تفسير الشعراوي: 17/ 10525 – 10526.

المطلب الثالث: أثر الطاعة والصبر على الفرد والمجتمع:

إن الصبر على الطاعة هو عنوان الحياة التي هي منطلق إلى الآخرة ولهذا فهو له آثار كثيرة نذكر منها على النحو الآتي:

1) «أن العمل الصالح هو إقبال على الله، واشتغال بالله، ومن توجه إلى الله وصل، ومن طلب من الله شيئاً حصل، فأولئك لهم الأمن والأمان ودوام النعيم وتأبيده، فإنه من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمناً، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾[1]، فإنه لا شيء يقرب من الله تعالى وأن كان مالاً أو ولداً، فإن المال لا يقرب من الله ولا اعتبار بالتعزز به، وإنما المفيد العمل الصالح بعد الإيمان، والذي يدل عليه، أن المال والولد يشغل عن الله تعالى فيبتعد عن طاعته ودوام شكره»[2].

2) «إن أثر الطاعة يجعل للإنسان مكانة عالية في الجنة، ويحصل على الدرجة الرفيعة أيضاً في الجنة، وذلك بصبرهم على تلك الصفات الحميدة التي جعلتهم يرتقون الغرفة وهم آمنون، ولهم التحية والسلام من الملائكة، ويعاملون بالتوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، وهذا دليل على أن الطائعين في نعيم الجنة مع التعظيم والاحترام، على عكس العصاة الذين يضاعف لهم العذاب، مع الإهانة والاحتقار.

3) أولئك نعيمهم دائم لا ينقطع، فهم مقيمون في الجنان، إقامة مستمرة لا يحولون، ولا يموتون ولا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولاً، حسنت منظراً، وطابت لمن أحسن مقيلاً ومنزلاً، لقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[3]، وهذا وعد من الله تعالى لعباده بالمنافع الجليلة في الجنة أولاً، وبالتعظم ثانياً، وذلك لصفاتهم الدائمة، خالدين فيها وهم لا يبغون عنها حولاً»[4].

4) «إن من أعظم الحكمة معرفة الأسباب والمسببات، مع ارتباط بعضها مع بعض، فلا ينهض بامتثال المأمورات وترك المنهيات إلا من صبر على الطاعة، والصبر هنا خلق من الأخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام، فوجب على المكلف أن يجعل تربيته لنفسه دائمة، وأن تكون من أكبر همه، إذ لا يقوم بالتكاليف الشرعية إلا به، ولا يستطيع الحياة إلا إذا تمسك بسببه يعينه على المحنة والابتلاء»[5].

5) «إن الطاعة تكسب الإنسان القناعة والحياة الطيبة في الدنيا من الرزق الحلال الطيب، وفي الآخرة كذلك؛ وذلك لأن قناعة الإنسان وصبره هي حسن مختار فلا يطيب عيش أحد في الدنيا إلا عيش القانع، وأما الحريص فإنه يكون في كد وعناء وتعب ونصب من جراء حبه للدنيا فيكون لا حظ له في الآخرة، وأما عيش المؤمن الطائع في الدنيا أطيب من عيش الكافر؛ لأنه عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير من الله تعالى له، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره، وعلم أن مصلحته في ذلك، وأما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فيكون في حزن

(1) سورة سبأ: الآية 37.
(2) تفسير الرازي: 25/ 209 – 210.
(3) سورة هود: الآية 108.
(4) التفسير المنير للزحيلي: 19/ 113.
(5) تفسير ابن باديس: 1/ 242.

وشقاء دائم، فالمؤمن يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها؛ وذلك لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، فعند وقوعها لا يستعظمها»[1].

6) «وأما الغافل عن تلك العبادات والمعارف، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه.

7) أن قلب الطائع المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، والقلب إذا كان مملوءاً من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا.

8) أما قلب العاصي فإنه ضال عن معرفة الله تعالى، مهتماً بالدنيا راكضاً وراء شهواتها وطمعاً بها، فلا جرم يصبح مملوءاً بالأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا ونكد عيشها، فهو في الآخرة من الخاسرين.

9) إن الطاعة جعلت من المؤمن عارفاً بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها.

10) أما محب الدنيا فإنه لا يعرف سعادة في حياته سوى جمع المال وحب الحياة، فإنه يعظم فرصة بوجدانها وغمه بفقدانها.

11) إن المؤمن خيره كثير على نفسه وعلى مجتمعه؛ لأنه يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره إليه.

12) لذلك فإن ما كان واجب التغير فإن عند وصوله إليه لا تنقلب حقيقته ولا تتبدل ماهيته، فعند وصوله إليه يكون أيضاً واجب التغير، فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه عليه ولا يقيم له في قلبه وزناً، وهذا بخلاف العاصي فهو غافل عن هذه المعارف فيطبع الله على قلبه فيعانقها معانقة العاشق لمعشوقه فعند فواتها وزوالها يحترق قلبه ألماً وحسرة عليها، يظن أنها يا ليتها تعود له وتستمر بزينتها له، فبذلك عظم البلاء عنده فخسر الدنيا والآخرة وذلك الخسران المبين، الذي عاد عليه وعلى مجتمعه، فيا ليت الإنسان يفكر بمصيره ومصير هذه الدنيا الفانية التي كثر الحب لها حتى فرقت بين كل شيء، بحيث جعلت هذه الأمة مفرقة على جميع المستويات وجميع المفاصل.

13) أن عيش المؤمن الطائع العارف لربه أطيب من عيش الكافر[2].

المطلب الرابع: الحياة السعيدة في الصبر:

1. «إن حياة المؤمن تكون حياة طيبة في الدنيا وفي الجنة فلأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا مرض، وملك بلا زوال، وسعادة بلا شقاء، فثبت بذلك أن الحياة الطيبة التي يعيشها المؤمن ليست إلا تلك الحياة التي ذكرناها، لقوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3]، وذلك بأن يجزيهم على أحسن أعمالهم[4].

2. «أن الإيمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر الله عيوبه في الأخرى، فالعمل الصالح يحسن حال صاحبه في الدنيا والآخرة فيجزيه الله الجزاء الأوفى في العقبى، فالإيمان لا يبطله العصيان، بل هو يغلب المعاصي ويسترها ويحمل صاحبها على الندم، فبذلك الإيمان يكفر الله تعالى سيئات المؤمن بأسرها»[5].

(1) تفسير الرازي: 20/ 267 – 268.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 20/ 267 – 268.

(3) سورة النحل: الآية 97.

(4) تفسير الرازي: 20/ 267 – 268.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 25/ 30 – 31.

3. «تنوير عقل العابد في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا، والتحذير من مهاوي الخسران، مع استقامة أحوال الجماعة، وانتظام المدنية، ورحمة الآخرة، وهي الفوز بالنعيم الدائم»[1].

4. «وهذا وعد من الله تعالى للطائعين بخيرات الدنيا، وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق لمن صح قلبه، وثبت على دينه من حيث تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، فبذلك يعطي تعالى عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم، فمن راقب نفسه رأى شواهد ذلك، فهذه هي الحياة الطيبة التي يعيشها عباد الرحمن»[2].

5. «أن عباد الرحمن ضمن لهم الله تعالى سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم المستقيم؛ لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد القويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج الى العقول حائل، ولا يغادر مسلكاً الى ناحية من نواحي الاخلاق والطبائع إلا سلكه اليها تحريضاً وتحذيراً، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم؛ لأن الهداية من ملازمات السير والطريق الذي به الخير كله، أو للملة الأقوم»[3].

وأضاف: «أن الله تعالى يزيد المؤمنين هدىً وهو ارتقاء من بشارتهم بالنجاة إلى بشارتهم برفع الدرجات، أي الباقيات الصالحات خير من السلامة من العذاب التي اقتضاها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾[4]، أي: فسيظهر لهم أن ما كان فيه الكفرة من النعمة والعزة هو أقل مما كان عليه المسلمون من الشظف والضعف باعتبار المآلين، إذا كان مآل الكفرة العذاب ومآل المؤمنين السلامة والنجاة من العذاب، وهذا تنبيه للمسلمين ألا يغتروا بإنعام الله على أهل الضلال حتى أن المؤمنين يدعون الله به لعدم اكتراثهم بطول مدة نعيم الكفار[5]، ومن هنا نجد أن هذه الآية أعطتنا الدروس والعبر في استقامة أحوال الناس بالدين والاستقامة تشمل طاعة الله في كل أو امره، فينبغي علينا أن نتخذ الحياة وسيلة للتنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد وما عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع زائل قليل»[6].

وقال الشنقيطي: «أن الله تعالى أوجب لعباده الصفات التي تخرجهم من الظلمات الى النور، كما أوجب تعالى على نفسه أنه من عمل صالحاً منهم فسيحييه الله حياة طيبة، وسيجزيه أجره بأحسن ما كان يعمل، لذلك فإن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما أستكمل ثلاثة أمور، أولها: أن يكون خالصاً لله تعالى؛ لأنه تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾[8]، وثانيهما: أن يكون موافقاً لما جاء به الرسول ﴿ﷺ﴾، لقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

(1) التحرير والتنوير: 9/ 238.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 14/ 273.
(3) ينظر: المصدر السابق: 40/ 15.
(4) سورة مريم: الآية 75.
(5) التحرير والتنوير: 40/ 15.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 27/ 400 – 401.
(7) سورة البينة: الآية 5.
(8) سورة الزمر: الآية 14.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(1)، وثالثهما: أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله تعالى يقول: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(2)، فهنا قيد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير المؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح، ولهذا فإن الحياة لا تطيب إلا في الجنة؛ لأن الحياة الدنيا لا تخلو من المصائب والاكدار، والأمراض والآلام والأحزان، ونحو ذلك، وقد تكون الحياة الطيبة بأن يوفق الله عبده إلى ما يرضيه من العافية والرزق الحلال؛ لأن تلك الحياة هي أجر عملهم الصالح، ولهم أحسن ما كانوا يعملون»(3).

وبين الرازي: «أن الله تعالى وعد هؤلاء بأشياء أحدهما: لهم البشرى عندما يقرب الموت وعند الوضع في القبر، وعند الوقوف يوم القيامة، وعندما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير، وعندما يدخل المؤمنون الجنة، ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والريحان، وثانيهما: أن هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات وبحصول المرادات، لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾**(4)، والخوف إنما يكون من المستقبل، والحزن إنما يكون بسبب الأحوال الماضية، وما تستقبلونه من أحوال القيامة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من خيرات الدنيا، ولما أزال الله عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات، والبشارة العظيمة شرط عظيم وهو الاجتناب عما سوى الله تعالى والإقبال عليه بالكلية، فمن وقعت عليه البشارة فقد بلغ في الكمال والرفعة إلى حيث لا يصل إلى شرحها العقول والأفكار»(5).

وأضاف: «أن من كمال وجود الله وقدرته وكمال رحمته بعباده معلوم، فدعوته عباده إلى دار السلام، تدل على دار السلام قد حصل فيها لعباده ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ لأن العظيم إذا أستعظم شيئاً ورغب فيه وبالغ في ذلك الترغيب، دل ذلك على كمال حال الشيء، لذلك فإن غد الدنيا وغد الآخرة يومان، فغد الآخرة خير من غد الدنيا؛ وذلك لأن الإنسان لا يدرك غد الدنيا ولكنه بالضرورة يدرك غد الآخرة؛ لأنه بتقدير أن يدرك غد الدنيا فلعله لا يمكنه أن ينتفع بما جمعه؛ إما لأنه يضيع منه ذلك المال أو لأنه قد يحصل في بدنه مرض يمنعه من الانتفاع به، لكن غد الآخرة فكل ما أكتسبه الإنسان لأجل هذا اليوم فإنه لا بد أن ينتفع به؛ لأنه بتقدير أن يجد غد الدنيا ويقدر على أن ينتفع بماله، إلا أن تلك المنافع مخلوطة بالمضار والمتاعب؛ لأن سعادات الدنيا غير خالصة من الآفات، بل هي ممزوجة بالابتلاءات، والاستقراء يدل على ذلك، وأما منافع الآخرة فهي خالصة من الغموم والهموم والأحزان سالمة عن كل المنفرات، فقد يتصور الإنسان أنه يصل إلى عز الدنيا وينتفع بها وكان ذلك الانتفاع خالياً من خلط الآفات، إلا أنه لا بد أن يكون منقطعاً وغير دائم، ولكن منافع الآخرة دائمة ومبرأة عن الانقطاع، فثبت بذلك أن سعادات الدنيا مشوبة بهذه العيوب، وأن سعادات الآخرة سالمة عنها

(1) سورة الحشر: الآية 7.
(2) سورة النحل: الآية 97.
(3) أضواء البيان للشنقيطي: 2/ 440 – 441.
(4) سورة فصلت: الآية 30.
(5) تفسير الرازي: 26/ 435 – 436.

فلهذا كانت الجنة خيراً مستقراً ومقاماً، وهي دار السلام لمن كانت تحيتهم فيها سلام، ولهم فيها الحسنى لأنهم أتوا بالمأمور، واجتنبوا المنهي عنه، فهؤلاء لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة»[1].

المطلب الخامس: وصف القرآن للصابرين:

1 - «أن كل ذلك يدل الى كون الجنة دائمة آمنة من الانقطاع، وأن نعيمهم خالص غير مشوب بالمكروهات، ويزيل ما فيها من النظارة والطلاقة، ثم بين أنهم خالدون في الجنة لا يخافون في الله لومة لائم[2]، لقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[3].

ولهذا فإن الله تعالى قد وصف الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في مواضع كثيرة فقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[4]، وقالت تعالى: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الذين صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5]، فما من طاعة إلا وأجرها مقدرٌ إلا الصبر، فوعد الله تعالى الصابرين أنه معهم فقال: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[6][7]، بما صبروا وتحملوا المشاق في سبيل الله فحصل لهم التمام بسبب صبرهم، فمن قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج»[8].

2 - وأشار صاحب المنار: «أن الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيماناً بالله واحتسابا للأجر عنده فعملوا الصالحات، ولم يكفروا بأنعم الله ولم يدب اليأس في قلوبهم من رحمته عند زوال الشيء منها، وفرح البطر وعظمة الفخر بها عند إقبالها، فعند كشفها وتبديل النعماء بها، من شكره تعالى، باستعمال النعمة فيما يرضيه، من عمل البر وغير ذلك من عبادته وشكره، أولئك لهم رحمة واسعة من ربهم تمحو من أنفسهم ما علق بها من ذنب وتقصير، ولهم أجر كبير على ما وفقوا له من بر وتشمير، لذلك فإن الإنسان وإن كان مؤمناً باراً لا يسلم في الضراء والمصائب من ضيق صدر فإنه قد ينافي كمال الرضى أو يلابس بعض الوزر، وفي حال النعماء من شيء من الزهو والتقصير في الشكر، وكل منهما يغفر له بصبره وشكره وإنابته إلى ربه، فالإنسان يكون دائماً قليل الصبر وذلك لئن أعطاه الله نعمة فأذاقه لذاتها، فكان فرحاً بها، كالصحة والأمن وسعة الرزق والولد البار، لكنه عندما تنتزع منه هذه النعم بما يحدث من الأسباب بمقتضى سننه في الخلق من مرض وعسر وضيق وفتن وموت، فإنه في هذه الحالة ليؤوس كفور، شديد اليأس من الرحمة، قطوع الرجاء من عودة تلك النعمة، كثير الكفران لغيرها من النعم التي لا يزال يتمتع بها، فهو يجمع بين اليأس مما نزع منه، والكفر بما بقي له لحرمانه من فضيلتي الصبر والشكر»[9].

3- وأضاف: «أما إذا أذاق الله الإنسان نعماء بعد ضراء مسته، وهي ما يقابل بالضراء من الضر

(1) ينظر: المصدر نفسه: 17/ 239 - 241.
(2) تفسير الرازي: 17/ 239 - 241.
(3) سورة يونس: الآية 25.
(4) سورة السجدة: الآية 24.
(5) سورة النحل: الآية 96.
(6) سورة الانفال: الآية 46.
(7) ينظر: المصدر نفسه: 4/ 131.
(8) ينظر: المصدر السابق: 14/ 349.
(9) تفسير المنار: 24/ 12 - 25.

الذي يقابل به النفع، وهي تتضمن كشف الضراء السابقة وإحلال ما هو ضدها محلها، كالشفاء من المرض وزيادة العافية والقوة السابغة، والإخراج من العسر والفقر، إلى سعة الغنى واليسر، والنجاة من الخوف والذل، الى حياة المنعة والعز، ولئن منحنا هذا الإنسان اليئوس الكفور، نعماء فأذاقه لذتها ونعمتها، بعد ضراء مسته باقترافه لأسبابها، أثر كشفها وإزالتها ليقول ذهب عني ما أصابني وما كان يسوئني من المصائب والضراء فلن تعود، ولكنه قليل الصبر فما هي إلا سحابة صيف تقشعت فعلي أن أنساها بالتمتع باللذات وإني لفرح فخور بما حصل لي في هذه الحالة، أي أنه شديد الفرح والمرح الذي يهيجه البطر بالنعمة، ومبالغ بالفرح والتعالي على الناس والاحتقار لمن دونه فيها، فهو لا يقابلها بالصبر والشكر عليها»[1].

«وهذا هو شأن الإنسان أنه يفرح في كلتا الحالتين فرح البطر والغرور، حيث ترك الشكر على النعمة باستعمالها فيما ينفع الناس، بل يستعملونها فيما يسرهم ويمتعهم بلذاتهم ونعيمهم، فيكون ذلك مهلكة للأمة، لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾[2]، لذلك فإن السرور بالنعمة مع تذكر أنها فضل من الله لا يحدث بطراً، ولا غروراً، وإنما يحدث صبراً وشكراً، وإحساناً في العمل، فإذا أفقهت هذا كله علمت أن الذين لا يبصرون ويفرحون بأعمالهم بطراً واختيال وغرور، يكونون بذلك مستحقين للعذاب، وأن كانت أعمالهم التي بطروا بها، وفخروا، واغتروا بها، وصدوا عن الأعمال الحسنة، فإن الذي أستولى عليه الغرور يفرح، ويبطر بكل عمل يعمله، ويرى أنه منتهى الكمال، فلا تنشط همته الى طلب المزيد، ولا يسارع في الخيرات، ولا يقبل الانتقاد على التقصير، فهذا يدعوا إلى الكسل، والإهمال، وحب المحمدة الباطلة، والقناعة بالثناء الكاذب، فأولئك يصيبهم العذاب الذي أصاب الأمم التي فسدت أخلاقها، وساءت أعمالها، وألفت الفساد والظلم، والانكسار، وذهاب الاستقلال بنصر أهل الحق عليهم»[3].

4- «وقد ميز الله تعالى عباده المؤمنين الطائعين الصابرين بأنهم يسارعون في الخيرات وهم من خشية ربهم مشفقون مع زيادة رقة وضعف، وهم وجلون خائفون من عذاب ربهم، وهم دائمون في طاعته، جادون في طلب مرضاته، والخوف من سخطه، ومن عقابه آجلاً، فكان في نهاية الاحتراز عن المعاصي، فدل ذلك على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي، بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾[4].

5- «ولم يقف الحد بهم الى ذلك فقط، فهم بآيات ربهم يؤمنون، وهي الآيات الدالة على وجود المخلوقات والتي تدل على وجوده، والإيمان هو التصديق بها، فإذا فصلت المعرفة بالقلب حصل الإقرار باللسان ظاهراً فذلك هو الإيمان، فدل ذلك على ترك الرياء في الطاعات، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾[5]، فإيمانهم هذا يجعلهم أن لا يشركوا بالله شيئاً، وأنهم مخلصين في العبادة لوجه الله تعالى وطلب رضوانه، والمراد من ذلك نفي الشرك الخفي عن أنفسهم، فقال تعالى:

(1) تفسير المنار: 25/ 12.
(2) سورة الانعام: الآية 44.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 4/ 240 – 241.
(4) سورة المؤمنون: الآية 57.
(5) سورة المؤمنون: الآية 58.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[1]، فهؤلاء يعطون ما أعطاهم الله وقلوبهم وجلة خائفة مترقبة مجتهدة؛ لأن من يقدم على العبادة وهو وجل من تقصيره وإخلاله بنقصان أو غيره، فإنه يكون لأجل ذلك الوجل مجتهداً في العبادة في أن يوفيها حقها في الأداء، وأنهم بذلك أدوا الزكاة والكفارة وغيرها، أو من حقوق الآدميين، كالودائع والديون وأصناف الإنصاف والعدل، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[2]، فهم بذلك عالمون بأنهم إلى ربهم راجعون للمجازاة والمسائلة ونشر الصحف وتتبع الأعمال، وأن هناك لا تنفع الندامة، فهناك الحكم القاطع الذي لا لبس فيه، فهم يسارعون في الخيرات في الدنيا من أنواع النفع ووجوه الإكرام، فهم يسابقون الناس لأجلها حيث عجلت لهم في الدنيا من أجل أن ينالوها في الآخرة، وهذا من كرم الباري على عباده بفعل الخيرات وترك المنكرات»[3].

6- «ولا شك أن هؤلاء صبروا ابتغاء وجه ربهم على فعل العبادات والصبر على مشاق الحياة من ثقل الأمراض والمضار، والغموم والأحزان، والصبر على ترك الشبهات، والصبر على ترك المعاصي وعلى أداء الطاعات، فالإنسان يقدم على الصبر بوجوه، أحدهما: أن يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على تحمل النوازل، وثانيهما: أن يصبر لئلا يعاب عليه أنه جزع، والثالث: أن يصبر لئلا يحصل على شماتة الأعداء، والرابع: أن يصبر لعلمه بأنه لا فائدة من الجزع فالإنسان إذا أتى بالصبر لأحد هذه الوجوه فإنه في ذلك لا فائدة من صبره؛ لأن ذلك لم يكن داخلاً في كمال النفس وسعادة القلب، أما إذا صبر على البلاء لعلمه بأن ذلك البلاء قسمته حكم بها القسام العلام المنزه عن العيب والباطل والسفه، بل لا بد أن تكون تلك القسمة مشتملة على حكمة بالغة ومصلحة راجحة ورضي بذلك؛ لأن تصرف المالك في ملكه لا اعتراض لأحد على ذلك؛ لأنه صار مستغرقاً في مشاهدة الابتلاء فكان استغراقه في تجلي نور المبتلى أذهله على التألم بالبلاء وهذا أعلى مقامات الصديقين»[4].

7- «لذلك فالصبر ملاك استقامة الأعمال ومصدرها، فإذا تخلق به المؤمن صدرت عنها الحسنات والفضائل بسهولة، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[5]، وكذلك فالصلاة عماد الدين وفيها ما في الصبر من الخاصية؛ ولأنهم صبروا لأجل أن الصبر مأمور به من الله لا لغرض آخر كالرياء ليقال ما أصبره على الشدائد ولاتقاء شماتة الأعداء»[6].

8- «والصبر الحقيقي لا يحصل إلا بتذكر وعد الله بالجزاء الحسن للصابرين على أعمال البر التي تشق على النفوس، وعن الشهوات الممرضة التي تصبوا إليها، وبتذكر أن المصائب من فعل الله وتصرفه في خلقه، فيجب الخضوع له والتسليم لأمره، ومن عجيب أمر هذا الصبر أنه يقي الإنسان من الخسران متى حسن في كل شيء، وأنه قوة من قوى النفس، والاستقامة بالصبر تكون بالالتفات إلى الأسباب التي تأفك الناس وتصرفهم عن صراط الشريعة كإتباع الشهوات، والولوع باللذات، والبعد عن الموبقات، فصاحب الحاجة يهزه الطيش

(1) سورة المؤمنون: الآية 59.
(2) سورة المؤمنون: الآية 60.
(3) تفسير الرازي: 23/ 282 - 284.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 19/ 34 - 35.
(5) سورة العصر: الآية 3.
(6) التحرير والتنوير: 129/ 13.

والتسرع إلى قضاء حاجته فيفقد الصبر على مرارتها فيكذب لاعتقاد أن حاجته تقتضي ذلك الأمر»[1].

«فهو بذلك يظن أنه سيدفع مضرة أو يجلب المنفعة بالكذب، وأنه بالصدق يفوته هذا، فهو بذلك أقترف جريمة الكذب بهذا الاعتقاد، وهو ظان أن ذلك خير له لكنه وأهم، ومتى أقترفه مرة هان عليه، فيعود اليه فيكون كذاباً، ومتى ما عرف بذلك ضاعت الثقة به وفسد حاله، حتى انعدم شخصه في المجتمع وأصبح يجد الحاجة إلى الصدق أشد مما كان منها إلى الكذب»[2]، وقال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فإن الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وأن الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإن الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وأن الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا))[3].

«ولا شك أن إبليس استنكف عن الكذب، لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]، فإذا كان الكذب شيئاً يستنكف منه إبليس، فالمسلم أولى أن يصبر ولا يستعجل الكذب، فالصدق منه الإيمان لا من سائر الطاعات، ولكن من معايب الكذب أن الكفر منه لا من سائر الذنوب، لقبحه كونه مخلاً لمصالح العالم ومصالح النفس، وإفضائه إلى المفاسد»[5].

(1) تفسير المنار: 1/ 428.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 428/ 1.
(3) اخرجه البخاري: كتاب، الادب، باب ما ينهى عن الكذب، 25/ 8، (6094).
(4) سورة ص: الآية 82.
(5) تفسير الرازي: 168/ 16.

المطلب السادس: أهم نتائج الصبر للصابرين

1. الاستقامة على أمر الآخرة والاستعداد لها، بالصبر والصلاة، وذلك بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[6]، أي: استعينوا على إقامة دينكم والدفاع عنه وعلى سائر ما يشق عليكم من مصائب الدنيا بالصبر وتوطين النفس على احتمال المكارة، وبالصلاة التي تكبر بها الثقة بالله عز وجل، وتحضر بمناجاته فيها كل المشاق[7].

2. فالأمر بالاستعانة بالصبر؛ لأن الصبر ملاك الهدى، فإن مما يصد الأمم عن إتباع الدين القويم بأحوالهم القديمة وضعف النفوس عن تحمل مفارقتها، فإذا صبروا سهل عليهم إتباع الحق، والاستعانة بالصلاة هو تأكيد لأمره، ومعظم الفضائل ملاكها الصبر، إذ الفضائل تنبعث عن مكارم الأخلاق، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة وكبح زمام النفس الإسافة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالاً أو عما يورث نقصاناً، لذلك فالصبر ملاك الفضائل فما الحلم والتكرم والتعلم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض إلا وهم من ضروب الصبر[8]، لقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[9].

3. ابتلاء الله للإنسان بالمال والنفس وأذى المشركين كل ذلك يدخل في قائمة الصبر إذا صبروا على هذه المشاق، لقوله تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ**

(6) سورة البقرة: الآية 153.
(7) تفسير المنار: 27/ 2.
(8) التحرير والتنوير: 1/ 477 – 478.
(9) سورة البقرة: الآية 45.

﴿وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

4. إن الله أورث لعباده الأرض إذا صبروا على أذى الأعداء فإن العاقبة لهم، لقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

5. البشارة للصابرين إذا ابتلاهم ربهم بالخوف والجوع ونقص بالأموال، فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[3].

6. وعد الله الصابرين بوفاء أجورهم بغير حساب؛ لأن ثواب الصبر يعطي لأهله الخير الكثير، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4].

7. وصية لقمان (عليه السلام)، لأبنه وهو يرشده إلى الخير ليبثه في الناس مع الإبتعاد عن الشر وعدم ارتكابه، وأمره بالصبر على ما أصابه فإن ذلك من عزم الأمور، فقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[5].

8. إن الصبر على متاعب الدنيا من تعب العيش، وأمراض البدن وغيرها من تقلبات الزمن، أولئك يبشرهم ربهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[6].

(1) سورة آل عمران: الآية 186.
(2) سورة الأعراف: الآية 128.
(3) سورة البقرة: الآية 155.
(4) سورة الزمر: الآية 10.
(5) سورة لقمان: الآية 17.
(6) سورة البقرة: الآية 157.

المبحث الرابع:
الأساس التربوي الذي يختص بالعقيدة

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[7].

المطلب الأول: عقاب المخالفين لعباد الرحمن

المعنى العام: لقد أخبر تعالى عن حال المكذبين بالقرآن بعد أن جاءتهم الدعوة فأعرضوا عنها، فكان لزاماً أن يأتيهم العذاب الذي وعدهم به تعالى، لذلك قال الشعراوي: «بعد أن تحدث الحق تبارك وتعالى عن عباد الرحمن، وذكر أوصافهم وجزاءهم وما أعد لهم من جنات النعيم، فتوجه بهذه الآية إلى الذين لم يتصفوا بهذه الصفات ولن ينالهم شيء من هذا النعيم، فيقول لهم: إياكم أن تظنوا أن الله سيبالي بكم، أو يهتم لأعمالكم، أو يكون في معونتكم، لكنه سبحانه لا يبالي إلا بعباده المؤمنين الصادقين الذي عبدوه وأطاعوه حق العبادة والطاعة، لكنكم أنتم خالفتم الأصل الأصيل في إيجاد الخلق، ولم تحققوا معنى الاستخلاف في الأرض الذي خلقكم الله تعالى من أجله؛ وذلك لأنكم انصرفتم عن منهج الله ولم تعبئوا به ولم تعبدوه، ولم يكن على بالكم، فكذلك لا يعبأ الله بكم، ولم تكونوا على ذكر منه سبحانه، فهنا سوف يهملكم؛ لأنكم قد كذبتم فسوف يأتيكم عذابه لزاماً، وذلك بأنكم لازمتم الكفر وأصررتم عليه، فكان جزاء العذاب من جنس العمل، ولزاماً عليكم، فلا يفارقكم أبداً»[8].

«فهذا تهديد ووعيد للمكذبين، الذين دعوا إلى عبادة الله ليحققوا الغاية من خلقهم، لكنهم كذبوا رسول الله ﷺ وأبو أن يؤمنوا بالله وحده، فحق عليهم العذاب، ولزمهم ما قضى الله سبحانه وتعالى

(7) سورة الفرقان: الآية 77.
(8) تفسير الشعراوي: 17/ 10528.

به في أهل الكفر والضلال، فإنه من فاتته هذه الغاية، فقد سقط من حساب المخلوقات، فالقيمة الحقيقية هي في عبادة الله تعالى، واتجاهكم إليه، في السراء والضراء، وأنه لولا هذا، ولولا أن فيكم مؤمنين بالله، عابدين له، لما كان لكم وزن في عالم المخلوقات، لكن إذا أعتدل ميزانكم، وأقيم لكم الوزن، فإنما ذلك بفضل الله ثم المؤمنين منكم»[1].

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

1- لقد أخبر تعالى الكفار بأنه لا حاجة لهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين.

2- الإخبار عن حال المكذبين الذين كذبوا الرسول الذي أرسل إليهم فخالفوا أمره وأمر ربهم الذي أمرهم بالتمسك به، ولو تمسكوا به لكان خيراً لهم، ولكنهم أصروا على التكذيب، ومخالفة أمر الله تعالى، فكان ملازماً لهم العذاب، وهلاكاً يلحق بعضكم ببعض[2].

3- وهذه الآية قصد بها المشركون الذين لا يزال غرورهم وإعجابهم بأنفسهم، حيث حسبوا أنهم قد فازوا بالإعراض عن الدعوة وتورطهم في مجادلة الرسول ﷺ، لذلك بين الله تعالى حقارتهم وأنه ما بعث رسوله إليهم إلا رحمة منه بهم لإصلاح حالهم وقطعاً لعذرهم، ولكنهم استحقوا العذاب دلالة على حقارتهم.

4- كما بينت الآية أن هذا التهديد سببه التكذيب، فدخل في هذا الوعيد ما يحل بهم في الدنيا من قتل وأسر وهزيمة وما يحل بهم في الآخرة من الوعيد بالعذاب[3].

(1) التفسير القرآن ي للخطيب: 10/ 66 - 68.
(2) تفسير الطبري: 19/ 322 - 323.
(3) التحرير والتنوير: 19/ 85 - 86.

5- ومن أهدافها الأخرى أنها بينت أن العذاب لم يكن ليحصل بالمشركين لولا دعاؤهم مع الله آلهة أخرى، فتنصلوا عن العبادة والتوحيد وعن التصديق بالرسل[4].

6 - وقد أشارت إلى أنه لا قيمة للإنسان وهو أشرف المخلوقات إلا بعبادة الله عز وجل، فإن لم يعبده كان من شرار الخلق[5].

7- وقد ختمت هذه السورة بهذه الآية، وذلك للتسلية عن رسول الله ﷺ، وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه، ولكنهم باقون على باطلهم يعاندون ويصرون على الكفر، ولولا القلة المؤمنة التي تدعو الله وتتضرع إليه، كما يدعو عباد الرحمن ويتضرعون، لكان لزاماً على الله أخذهم بالعذاب الشديد[6].

المطلب الثالث: أثر المعصية على الفرد والمجتمع:

إن المعصية لها آثار على الفرد والمجتمع؛ لأنها إذا سادت في الأرض فقد تنتشر المعاصي والذنوب لذلك نذكر من آثارها على النحو الآتي:

أولاً: الأعمال الفاسدة والعقائد الباطلة:

«إن الكافرين دابرهم مقطوع، ومآلهم الى الزوال، ومآله الى الوبال»[7]، «وأن المعصية تسلط على صاحبها أسباب المساءة والكآبة حتى تبدوا عليهم ظاهرة على وجوههم؛ لأن ما يخالج الإنسان من غم وحزن، أو فرح ومسرة فإن ذلك يظهر مباشرة على الوجه دون غيره من الجسد»[8]، وأن الإيمان هو أساس هيكل النجاة، ولذلك فإن الكفر

(4) أضواء البيان: 6/ 81 - 82.
(5) أيسر التفاسير: 3/ 635.
(6) في ظلال القرآن: 5/ 2581.
(7) تفسير الرازي: 25/ 210.
(8) التحرير والتنوير: 37/ 15.

هو أساس الشقاء الابدي؛ لأن كل عمل سيء يكون سوئه وفساده جزئي منقض فكان العقاب عليه غير أبدي، وأما الكفر فهو سيئة دائمة مع صاحبها؛ لأن مقرها قلبه واعتقاده لذلك فهو ملازم له فكان عقابه أبدياً؛ وذلك لأن الحكمة تقتضي المناسبة بين الأسباب وآثارها وهذا يدل عليه قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، ولهذا فإن جزاء الكفر شقاء أبدي؛ لأنه ملازماً للكافر إن مات كافراً[2]، «فهؤلاء العاصين استخدموا عقولهم التي هي رأس مالهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات، كما أنهم استعملوا قواهم وقدرتهم في أفعال الشر والباطل والفساد؛ وذلك لأنهم قد جمعوا بين أمور في غاية الرداءة أولها: أنهم أتعبوا أبدانهم وعقولهم طلباً في تلك العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، وثانيهما: أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال وهو العمل الصالح من غير فائدة، وثالثهما: أن تلك المتاعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات قد تكون سبباً للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت، فإن ذلك يدل على أنه لا خسران أقوى من خسرانهم، ولا حرمان أعظم من حرمانهم، وأنهم بذلك لم يقتصروا على الحرمان والخسران، بل جمعوا إليه استحقاق العذاب العظيم، والعقاب الشديد وهو إحاطة النار بهم من كل جانب، ونظيره في الحالة النفسية من خلال إحاطتهم بالجهل والحرمان والحرص وسائر الأخلاق الذميمة للإنسان»[3]، لقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[4].

ثانياً: قساوة قلوبهم:

وأضاف: «بأن ابتعاد هؤلاء عن القرآن وعن ذكر الله أصبحت قلوبهم قاسية؛ وذلك لأن ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5]، فكيف يكون قسوة للقلب، وذلك أن النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل إلى الطبائع البهيمة والأخلاق الذميمة، فإنها عند سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة، فقد نرى إنساناً يذكر كلاماً واحداً في مجلس فيستطيبه واحد ويكرهه غيره، وهذا من اختلاف جواهر النفوس، فإن لذكر الله يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية، ولكنه يوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية، لذلك فإن رأس الأدوية التي تفيد الصحة الروحانية هو ذكر الله تعالى، لكن بعض النفوس صار ذكر الله سبباً لازدياد مرضها كان ذلك المرض لتلك النفس مرضاً لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة، لذلك فإن القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية وزيادة الاطمئنان لمن تمسك به وأصبح من العابدين، فلما كان القرآن موصوفاً بتلك الصفات، فقد صار سبباً لمزيد من القسوة دل ذلك على أن جوهر النفس قد بلغ في الرداءة والخسة وخبث النفس والابتعاد عن دين الله، ومحاربة المؤمنين إلى أقصى الغايات»[6]، لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ

(1) سورة غافر: الآية 40.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 150/ 24.
(3) ينظر: تفسير الرازي: 26/ 433 – 434.
(4) سورة الزمر: الآية 15.
(5) سورة الرعد: الآية 28.
(6) تفسير الرازي: 441/ 26.

﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]، «لذلك فإن الإنسان إذا أنعم الله عليه وأحس بنعمته أعرض عن التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه فذهب بنفسه وتكبر وتعظم وطغى، لكنه إذا مسه الضر والفقر أقبل على الدوام وطاعة الله والدعاء إليه في الابتهال والتضرع لعل الله يخفف عنه ما أصابه لكنه حتى ولو تغير الحال فإنه باق على عصيانه وطغيانه، فبين تعالى حال المشركين الضالين أنهم يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة، ويظهرون من أنفسهم الذلة والخضوع بسبب استيلاء الخوف عليهم؛ لأن الإنسان جبل على التبدل، فإن وجد في نفسه قوة بالغ في التكبر والتعظم، وأن أحس بالفتور والضعف بالغ في إظهار الذلة والمسكنة؛ لأن قلوبهم في أكنّة وفساد وعدم استقرار النفس»[2]، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[3].

ثالثاً: الإنفاق في وجوه الباطل:

«ولهذا لم يستقر حال الكافرين في الدنيا، فبين تعالى أن حال الكافرين إذا أنفقوا من أموالهم فذلك أما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة، فإذا كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر البتة في الآخرة، وإن كان لمنافع الآخرة لم ينتفع به في الآخرة؛ لأن الكفر مانع من الانتفاع به، لذلك ثبت أن جميع نفقات الكفار لا فائدة فيها في الآخرة، ولعلهم أنفقوا أموالهم في الخيرات نحو بناء البيوت والقناطر والإحسان إلى الضعفاء والأيتام والأرامل، وكان ذلك المنفق يرجوا من ذلك خيراً كثيراً لكنه إذا قدم إلى الآخرة يرى كفره مبطلاً لآثار الخيرات، فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفعاً كثيراً لكنه أصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه إلا الحزن والأسف، هذا إذا أنفقوا الأموال في وجوه الخيرات أما إذا أنفقوها فيما ظنوه أنه من الخيرات لكنه للأسف كان في المعاصي، فكانت تلك الأموال عليهم حسرة وهباء منثوراً، وخيبة وحسرة دائمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[5]، فكل ذلك يدل على أن الحسنات من الكفار لا تستعقب الثواب، وكل ذلك مجموع في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[6]، فهذا وأن دل فهو يدل على خيبة الكفار في الآخرة، وخيبتهم في الدنيا؛ لأنهم أنفقوا أموالهم وتحملوا المشاق في إيذاء المسلمين لكن الأمر أنقلب عليهم، وأظهر الله الإسلام وقواه فلم يبق مع الكفار من ذلك الإنفاق إلا خيبة وحسرة وندامة»[7]؛ «لأنهم زرعوا في غير موضع الزرع أو في غير وقته؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فإن من زرع في وقته أو غير موضعه فإنه يضيع، فإذا أصابته الريح كان أولى أن يصير ضائعاً، فكذلك حال الكفار لما أتوا بالإنفاق في غير موضعه ولا في وقته ثم أصابه شؤم كفرهم أمتنع ذلك الزرع أن لا يصير ضائعاً؛ لأنهم ظلموا أنفسهم حيث أتوا بها مقرونة بالوجوه الممانعة من كونها مقبولة لله تعالى»[8].

(1) سورة الزمر: الآية 22.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 27/ 573.
(3) سورة فصلت: الآية 49.
(4) سورة الانفال: الآية 36.
(5) سورة الفرقان: الآية 23.
(6) سورة المائدة: الآية 27.
(7) تفسير الرازي: 337/ 8.
(8) ينظر: المصدر نفسه: 338/ 8.

رابعاً: آثار العداوة والحقد:

«لذلك حذر الله تعالى عباده المؤمنين من أعدائهم الكافرين؛ وذلك لأنهم لا يقصرون في إفساد دينكم، فإن عجزوا ودوا إلقاءكم في أشد أنواع الضرر، ولا ينتهي الأمر إلى هذا الحال فإنهم لا يقصرون في إفساد أموركم في الدنيا، فإن عجزوا عنه لم يزل عن قلوبهم حب إعانتكم، كما أنهم لا يقصرون في إفساد أخلاقكم، فإن لم يفعلوا ذلك لمانع من خارج، فحب ذلك غير زائل عن قلوبهم، وما تخفي قلوبهم أكبر يعني أن الذي يظهر على لسان المنافق من علامات البغضاء أقل مما في قلبه من النضرة، والذي يظهر عليه من علامات الحقد وعلى لسانه أقل مما في قلبه من الحقد والحسد على المؤمنين»[1]، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[2].

«لذلك وجب على المخالفين الإيمان وترك المعاصي؛ لأن الإيمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر الله عيوبه في الآخرة، كما أن العمل الصالح يحسن حال الصالح في الدنيا فيجزيه الله الجزاء الأحسن في العقبى، فالإيمان إذن لا يبطله العصيان، بل هو يغلب المعاصي ويسترها ويحمل صاحبها على الندم»[3].

«وبهذا فقد أخبر تعالى أن هؤلاء ترهقهم ذلة وهي كناية عن الهوان والتحقير، فالإنسان الناقص إذا مات بقيت روحه ناقصة خالية من الكمالات، فيكون شعوره بكونه ناقصاً، سبباً لحصول الذلة والمهانة والخزي والنكال، ومالهم من الله من عاصم؛ لأنه لا عاصم من الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فإن قضاؤه محيط بجميع الكائنات، وقدره نافذ في كل المحادثات إلا أن الغالب على الطباع العاصية، أنهم في الحياة الدنيا مشتغلون بأعمالهم وملذاتهم أما بعد الموت فكل واحد يقر بأنه ليس له من الله من عاصم، أرهق وجوههم السواد وهو سواد الجهل وظلمة الضلالة، حتى كأنها البست سواداً من الليل، لقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[4]، فعلامتهم هي سواد الوجه وزرقة العين»[5].

خامساً: حب الدنيا:

«ومن أعظم أسباب فسادهم وعصيانهم هو حبهم للدنيا والتي هي فاسدة من وجوه، أولها: أنه لو حصل للإنسان جميع ملذاته لكان غمه وهمه أزيد من سروره، لأجل قصر وقته وقلة الوثوق به وعدم علمه بأنه هل ينتفع به أم لا، وثانيهما: أن الإنسان كلما كان وجدانه بملذات الدنيا أكثر كان حرصه في طلبها أكثر، وكلما كان الحرص أكثر كان تألم القلب بسبب ذلك الحرص أشد، لذلك فإن الإنسان يتوهم أنه إذا فاز بمقصده سكنت نفسه وليس كذلك، بل هذا يجعله يزداد في طلبه وحرصه ورغبته وحبه للدنيا الفاسدة، وثالثهما: أنه بقدر ما يجد من الدنيا يبقى محروماً عن الآخرة التي هي من أعظم السعادات والخيرات، فمتى عرفنا هذه الوجوه من قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[6]، ظاهرها مطية السرور، وباطنها

(1) تفسير الرازي: 341/ 8.
(2) سورة آل عمران: الآية 118.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 31/ 25.
(4) سورة الزمر: الآية 60.
(5) ينظر: المصدر السابق: 17/ 242 – 243.
(6) سورة آل عمران: الآية 185.

مطية الشرور»[1].

«ومن حقارة الدنيا أن الإنسان يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة، ثم تنقطع وتزول، أما الآخرة فهي باقية لا تزول والدنيا منقرضة منقضية، والدائم خير من المنقطع، ولو كانت الدنيا التي غرتهم بزينتها ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً، لكانت الآخرة خير من الدنيا، فكيف والدنيا خزف فانٍ، والآخرة ذهب باقٍ، وأن النعيم فيها باقٍ، فكذلك العذاب للعاصين فيها دائم، لذلك وجب الحذر من حال من تغره الدنيا ويعصي الله فيها من أجلها فهي زائلة فانية، وأما الآخرة فهي باقية دائمة»[2].

«ولهذا فإن الله تعالى بين أن المؤدي إلى الجنة والنار لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، فما أصاب الناس من مصيبة من هذه المصائب إلا وهي مكتوبة عند الله تعالى، والمصيبة في الأرض هي قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع، وهذه كلها بسبب أعمالهم التي أغضبت الله تعالى، أما المصيبة في الأنفس، فهي الأمراض، والفقر، وذهاب الأولاد، وإقامة الحدود، وقد تتناول الخير والشر، فهذا بما كسبت أيدينا»[3]، لقوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[4].

سادساً: الكذب والنفاق:

بين صاحب المنار: «ولما بين تعالى أنهم قد كذبوا فكان لزاماً عليه تعالى أن يعذبهم؛ لأنهم قد جمعوا بين الكفر والنفاق فهؤلاء لهم الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر أهلها فقد جمعوا بين الكفر والنفاق مخادعة لله وللمؤمنين وغشهم، فأرواحهم أسفل الأرواح، وأنفسهم أخس الأنفس، وأكثر الكفار قد أفسد فطرتهم التقليد، وغلب عليهم الجهل بحقيقة التوحيد، فهم مع إيمانهم بالله ولكنهم يشركون معه غيره، باتخاذهم شفعاء عنده، ووسطاء بينهم وبينه، قياساً على معاملة ملوكهم المكذبين المستبدين، وأمرائهم الظالمين، وهم لا يرضون لأنفسهم النفاق في الدين ومخادعة لله والمؤمنين، والإصرار على الكذب والغش، ومقابلة هذا بوجه وذاك بوجه، فهم بذلك في أسفل النار، وأسفل الناس أرواحاً وعقولاً، فهم كانوا أجدر الناس بالدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيراً، ينقذهم من عذابها، أو يرفعهم من الطبقة السفلى إلى ما فوقها، ولكن هيهات يحصل لهم هذا الأمر»[5].

«وهنا قد وصفهم الله تعالى بوصفين لقوله: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾[6]، وهما الكذب وشدة الكفر، وهنا يعلم الله أنه لا يؤمن وأنه ليس معرضاً للإيمان، فلذلك لا يهديه الله، فلا تكون الهداية في قلبه، وللدلالة على حرمانهم من الخير والقائم في الشر لأنهم حرموا الهداية فقد وقعوا في الضلالة لقوله تعالى: ﴿**فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾[7]، فهؤلاء جمع لهم عذاب في الدنيا وهو القتل، وعذاب في الآخرة فهم في النار خالدين فيها»[8].

(1) تفسير الرازي: 453/ 9.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 518/ 27.
(3) ينظر: المصدر السابق: 466/ 29.
(4) سورة الحديد: الآية 22.
(5) تفسير المنار: 385/ 5.
(6) سورة الزمر: الآية 3.
(7) سورة يونس: الآية 32.
(8) التحرير والتنوير: 289/ 14.

«أما إذا تابوا من النفاق والكفر وذلك بالندم على ما كان منهم مع تركه والعزم على عدم مفارقته فيكون ذلك بالاجتهاد في أعمال الإيمان التي تغسل ما تلوثت به النفس من أعماق النفاق، كالتزام الصدق والنصيحة لله ورسوله وللمسلمين عامة، والأمانة التامة، والوفاء، وإقامة الصلاة بالخشوع والحضور، ومراقبة الله تعالى، والاعتصام به، مع التمسك بكتابه، تخلقاً بأخلاقه وتأدبا بآدابه، واعتباراً بمواعظه، ورجاء في وعده وخوفاً من وعيده، والتزاماً بأوامره»[1].

وأضاف: «بأن عليهم التوجه بالعبادة الخالصة لله تعالى فلا يدعى من دونه أحد، ولا يسأل غيره أحد، لا لكشف الضر ولا لجلب نفع، ولا يتخذ من دونه أولياء يجعلون وسطاء عنده، بل يكون كل ما يتعلق بالدين والعبادة، وأعظمها وأهم أركانها الدعاء، خالصاً له وحده، لا تتوجه فيه النفس إلى غيره ولا يسأل اللسان سواه، ولا يستعان فيما وراء الأسباب العامة بين البشر بمن عداه إياك نعبد وبك نستعين، فهذا إن أرادوا الإخلاص والرجوع إلى الدين وترك المخالفة، والعزم على التوبة والإنابة»[2].

«لذلك فإن جريمة الكذب أصبحت مثلاً لاستباحة فاسدي الدين للمعاصي؛ لأنه في معناه العام من أكبر الكبائر، وشر الرذائل، حتى أن الكفر والشرك شعبة منه؛ ولأنه ليس مما تغلب المرء عليه ثورة غضب وثورة شهوة، بل يقترف بالتروي والتعمد؛ لأنه مع ذلك فإنه عام قد تغشى جميع طبقات الناس وجميع طبقات المجتمع في عصرنا هذا، لذلك جاءت النصوص دالة على أن لعنة الله مسجلة على الكاذبين»[3].

«فهؤلاء بلغت منهم الفتنة هذا الحد هم الذين لم تتعلق إرادة الله بتطهير قلوبهم من الكفر والنفاق؛ لأن إرادته تعالى تتعلق بما اقتضته حكمته البالغة وسننه العادلة، ومن سننه في قلوب البشر وأنفسهم أنها إذا جرت على الباطل والشر، ونشأت على الكيد والمكر، واعتادت اتخاذ دينها شبكة لشهواتها وأهوائها، واستمرت على الكذب والنفاق، ألفت عصيبة الخلاف والشقاق، وصار ذلك من ملكاتها الثابتة وأخلاقها الموروثة الثابتة، تحيط بها خطيئتها، وتطبق عليها ظلمتها، حتى لا يبقى لنور الحق منفذ ينفذ منه إليها، فهؤلاء لهم خزي الدنيا وما يلحقهم من الذل والفضيحة وهوان وخيبة عندما ينكشف نفاقهم ويظهر للناس كذبهم، ويعلو الحق على باطلهم، فيفشو فيهم الكذب والنفاق، ويغلب على فسادهم فساد الأخلاق، ولهم في الآخرة عذاب عظيم»[4]، لقوله تعالى: ﴿**ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[5].

سابعاً: الإعراض عن الحق:

«ولهذا فقد خاطب تعالى نبيه ﴿ﷺ﴾ أن يدع هؤلاء الغافلين عن عباده والصادين عن ذكره في جهلهم وهم في غمرتهم يعمهون، فكأن ما هم فيه من الجهل والحيرة صار غافراً ساتراً لعقولهم؛ لأن كل حزب منهم فرح بما مغتبط بما أتخذه ديناً لنفسه معجب به ويرى المحق أنه الرابح، وأن غيره هو المبطل الخاسر، فقال تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ**﴾[6] والحين هنا: إلى حين الموت، أو إلى حين

(1) ينظر: تفسير المنار: 385/ 5.
(2) تفسير المنار: 385/ 5.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 249/ 1.
(4) ينظر: المصدر السابق: 6/ 322 – 323.
(5) سورة الحج: الآية 9.
(6) سورة المؤمنون: الآية 54.

المعاينة، أو إلى حين العذاب، أو المراد به الحالة التي تقترن بها الحسرة والندامة، وذلك يحصل إذ عرفهم الله ببطلان ما كانوا عليه، كما عرفهم سوء مقلبهم، ويحصل كذلك عند المحاسبة في الآخرة، كما يحصل عند عذاب القبر، فلما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز أن يظنوا أن تلك النعم كالثواب المعجل لهم على أديانهم، فبين تعالى أن الأمر بخلاف ذلك، فقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾[1] وهذا الإمداد ما هو إلا استدراج لهم ليقعوا في المعاصي، واستدراجاً لهم في زيادة الإثم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، بل هم بذلك أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا في ذلك، وهو أنه سبحانه إنما أعطاهم هذه النعم ليكونوا فارغي البال، متمكنين من الاشتغال بكلف الحق، فإذا أعرضوا عن الحق والحالة هذه، فعند ذلك كان لزوم الحجة عليهم أقوى، وهم بذلك لا يشعرون ما يلحق بهم من العذاب والنكال، إنه عذاب الآخرة إذا نزل بهم العذاب عند ذلك يجأرون فيرتفع صوتهم بالاستغاثة والضجيج لشدة ما هم فيه وعليه فيقال لهم على وجه التبكيت لا تجأروا ولا تستغيثوا فلا أحد يدفع عنكم ما نريد إنزاله بكم، وإنكم ستنتهون يوم القيامة إلى هذه الدرجة من الحسرة والندامة وهو كالباعث لهم في الدنيا على ترك الكفر والإقدام على الإيمان والطاعة حتى ينفعهم ذلك»[2]، «ومن الصفات التي أخرجتهم من زمرة المفلحين وجعلتهم من الهالكين: هو ترك الصلاة، وترك إطعام المسكين، فلا إخلاص للخلق ولا إحسان للمخلوق، فاجتمع لهم الباطل وعدم الإخلاص والإحسان والتكذيب بالحق»[3].

ثامناً: كثرة المخاصمة والشر:

ولا يخفى أثر ذلك أن هؤلاء قد حذر الله منهم فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[4]، أي: «أن من الناس فريقاً يعجبك قوله وأنت في هذه الحياة؛ لأنك تأخذ بالظواهر لكنه منافق اللسان يظهر خلاف ما يبطن، فهو يبطن الحقد والكراهية ويظهر الإيمان، ويقول ما لا يفعل، فهو يعتمد على فلابة لسانه، في غش من يعاشره من أقرانه، يوهمهم أنه مؤمن صادق، نصير للحق والفضيلة، خاذل للباطل والرذيلة، متق الله في السر والعلن، ومجتنب للفواحش ما ظهر منها وما بطن، لا يريد بالناس إلا الخير، ولا يسعى إلا على سبيل جلب النفع لهم، لكنه تعالى قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[5]، ويحلف بالله أن ما في قلبه لما يقول ويدعي، لكنه في نفسه هو أشد الناس عداوة ومخاصمة لمن يتودد اليهم، أو هو من أشد خصمائهم، وهو قوي العارضة في الجدل لا يعجزه أن يختلب الناس ويغشهم بما يظهر من الميل إليهم وإسعادهم في شؤونهم ومصالحهم، فهو يعتمد بذلك على حسن القول بحيث يعجب السامع، وإشهاد الله تعالى على صدقه وحسن قصده، فهو يعجب إذا تكلم في شؤون الحياة الدنيا وأحوالها، وكيف السبيل إلى جمع المال وإحراز الحياة فيها؛ لأن حبها قد ملك عليه إصره، والميل إلى لذاتها وشهواتها قد استحوذ على قلبه، وصار هو المصرف لشعوره ولبه، فينطلق لسانه ومثله قلمه في كل ما يستهوي أصحاب الجاه والمال، ويستميل أهل السيادة والسلطان، ولكنه إذا

(1) سورة المؤمنون: الآية 55.
(2) تفسير الرازي: 23/ 281 – 285.
(3) التبيان في اقسام القرآن لأبن القيم: 1/ 173 – 174.
(4) سورة البقرة: الآية 204.
(5) سورة البقرة: الآية 204.

تكلم في أمر الدين جاء بالخطل والحشو، فوقع في المسلطة واللغو، فلا يحسن وقع قوله في السمع، ولا يكون له تأثير في النفس، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[1]، لذلك فهذه الصورة نراها في المجرمين الذين يتركون الصلاة، ويمنعون الزكاة، ويشربون الخمور، ويتسابقون إلى الفجور، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ثم يفضلون أنفسهم في الدين على أهل النزاهة والتقوى، زاعمين أن هؤلاء المتقين قد عمرت ظواهرهم بالعمل والإرشاد»[2].

تاسعاً: فساد بواطنهم بسوء الاعتقاد:

«ومع الأسف أن بواطنهم ضربة بسوء الاعتقاد، فيقولون: نعم إننا كنا نأكل الربا والقمار ولكنا نحرمه، ونأتي في نادينا المنكر ولكن لا نستحسنه، وأن ما نبتزه من جيوب الأغنياء ليس المقصود منه ترفيه معيشتنا، إنما هو أجر على السعي في أعلاء شأنهم، مكافأة على خدمة أوطانهم، فهم بهذه الدعوى ألد الخصام، إلا إنهم هم السفهاء، فقد جرت سنة الله في خلقه، ودلت هدايته في كتابه، أن سلامة الاعتقاد وإخلاص السريرة هما ينبوع الأعمال الصالحة، والأقوال النافعة، لقوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[3]، فهو بذلك قد يدعي الخير والصلاح والإصلاح وحب النفع، لكنه لا يأمن من قلبه فهو يسعى في الأرض بالفساد، لا هم له إلا في الشهوات واللذات والحظوظ الخسيسة، فهو يعادي لأجلها أهل الحق والفضيلة ويؤذيهم؛ لأنه ألد الخصام، فلا هم له إلا الكيد بالناس ومحاولة الإيقاع بهم، فهو يفسد باعتدائه، وهو ذهاب ثمرات الحرث والنسل،[4]، وهذه عبرة لمن يقطعون الزرع ويقتلون البهائم وغيره من الأمور التي تغضب الحق تعالى، وكذلك شأن المفسدين يؤذون غيرهم إرضاء لشهواتهم ولو انتهى الملك وخرب بإرضائها، وإذا تولى في الأرض بالحكم فيعمل ويستبد به، فيكون إفساده بالظلم مخرب للعمران وآفة البلاد والعباد، مع سفك الدماء والمصادرة في الأموال، وأما بقطع آمال العاملين من ثمرات أعمالهم وفوائد مكاسبهم، فإذا فشت هذه الأمور في البلاد وساد الظلم فقد تهلك زراعتها، وتتبعها ماشيتها، وتقل ذريتها، فهذا هو الفساد والهلاك من العاصين والكافرين، فيفشو فيها الجهل، وتفسد الاخلاق، وتسوء الأعمال حتى لا يكاد أن يثق الأخ بأخيه، ولا الابن بأبيه، فيكون بأس هذه الأمة بينها شديداً ولكنها مع مرور الزمن فإنها تذل وتخنع للمستعبدين لها، فهذا هو الفساد والهلاك في الأرض بغير الحق الذي أراده الحق تبارك وتعالى أن يبينه في كتابه»[5].

«وقد حملت هذه الآية دليلاً على أن الصفات الظاهرة المحمودة، لا تكون مرضية عند الله تعالى إلا إذا أصلح صاحبها عمله؛ وذلك لأن الباري عز وجل لا ينظر الى الصور والأجساد، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، وهذه ترشد إلى التميز بين الناس بأعمالهم وسيرتهم وعدم الغرور بزخرف القول، فإن الناس اليوم إذا انصرفوا من مجالس القول لم يكن لهم بد من سعي وعمل، والعمل أما خير وإصلاح، وأما شر وفساد، وكل إناء ينضح بما فيه؛ لأن إفساد هذا المنافق ظاهر في الوجود، والظاهر عنوان الباطن، ففساده في عمله دليل على فساد قلبه

(1) سورة محمد: الآية 30.
(2) تفسير المنار: 2/ 196 – 198.
(3) سورة الأعراف: الآية 58.
(4) تفسير المنار: 198/ 2.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 2/ 198 – 199.

وكذبه في إشهاد الحق عليه؛ لأنه لا يحب الفساد والمفسدين، وأنهم بذلك إذا أمروا بالمعروف أو نهوا عن المنكر يسرع إليهم الغضب، ويعظم عليهم الأمر، فيأخذهم الكبرياء والأنفة، وتخطفهم الحمية وطيش السفه، فيكونون كالمأخوذون بالسحر، لا يستقيم لهم فكر؛ لأنهم مصرون على إفسادهم لا يبغون عنه حولا، وعبروا عن الكبرياء والحمية بالعزة، للإشعار بوجه الشبهة للنفس الأمارة بالسوء وهو تخليها عن النصح والإرشاد ذلة تنافي العزة المطلوبة، فإن الظالم المستبد يكبر عليه أن يرشد إلى مصلحة، أو يحذر من مفسدة؛ لأنه يرى أن هذا المقام الذي اعتلاه بالظلم والحكم يجعله أعلى الناس رأياً وأرجحهم عقلاً، بل الظالم الذي حكم بظلمه والذي لا يخاف الله يرى نفسه فوق الحق كما أنه فوق أهله بالحكم، فيجب أن يكون رأيه خيراً من جودة آرائهم، وإفساده نافذاً مقبولاً دون إصلاحهم، فهؤلاء ليس لهم في الإسلام إلا ما يخدعون به العامة، فهذه آثار المفسدين في الأرض عند العجز عن الإيقاع بالأمر بالتقوى، فحسبه جهنم وهي مهاده ومأواه النار، وهي بئس المهاد وشره، لا راحة فيها، ولا اطمئنان لأهلها، وهي حسبهم بئس المصير والمنقلب الذي أرداهم فيها»[1]، لقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾[2].

المطلب الرابع: أهم نتائج العقاب للمخالفين لدين الله:

إن العقاب الذي سيحل بالمخالفين لدين الله له آثار سيئة عليهم ومن هذه الآثار:

1. الذين كذبوا بآيات الله سيحيط الله تعالى أعمالهم؛ وذلك بسبب عدم إيمانهم وأنهم أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3].

2. وهؤلاء الذين لم يصدقوا بالآيات الدالة على الوحدانية، لا تفتح لأعمالهم الخير في الدنيا، ولا تفتح لهم أبواب السماء في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾[4].

3. ومن يعص الله ورسوله ويخالف شرعه، فإنه جزاءه جهنم لا يخرج منها أبداً لقوله تعالى: ﴿**إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾[5].

4. حبط سعيهم فأصابتهم جهنم الموقدة، لا يقضى عليهم فيستريحوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وهذا جزاء العاصين لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾[6].

5. إنهم هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، فلم يكونوا على هدى ولا صواب، وهم يظنون أنهم صادقون بأعمالهم فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ**

(1) تفسير المنار: 2/ 198 – 201.
(2) سورة البقرة: الآية 204.
(3) سورة الأعراف: الآية 147.
(4) سورة الأعراف: الآية 40.
(5) سورة الجن: الآية 23.
(6) سورة فاطر: الآية 36.

سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

6. أولئك هم الخاسرون فلا يقام لهم يوم القيامة وزناً؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأعمالهم فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2].

7. ستكون عاقبتهم أن يحملوا آثامهم يوم القيامة، ويحملوا أوزار الذين أضلوهم وكذبوا عليهم، ليصدوهم عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[3].

8. أولئك اتخذوا الطاغوت والأوثان أولياء من دون الله فأخرجوهم من النور إلى الظلمات فقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

9. إن الذين كذبوا بالحق وصدوا عنه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[5].

10. فهؤلاء لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً، ولو افتدى به نفسه من العذاب، فما لهم من معين ولا ناصر فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[6].

(1) سورة الكهف: الآية 104.
(2) سورة الكهف: الآية 105.
(3) سورة النحل: الآية 25.
(4) سورة البقرة: الآية 257.
(5) سورة آل عمران: الآية 10.
(6) سورة آل عمران: الآية 91.

الخاتمة:

الحمد لله معز المؤمنين، خاذل الكافرين، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، أن أنعم عليّ بإتمام هذا البحث، له الفضل والمنة، أسأله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة، وأختم ذلك بجملة من النتائج والتوصيات، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم تسليماً كثيراً.

النتائج:

1. أن القرآن الكريم أعظم مصدر من مصادر التربية السلوكية للفرد والمجتمع.
2. تربية الله تعالى المؤمنين بأن يكونوا من الذين إذا عرضت عليهم آياته زادتهم إيماناً.
3. تربيتهم على الصبر وهو ملاك الهدى والثبات، وهو الأمر الذي يؤدي إلى جنة عرضها السموات والأرض.
4. أن إصلاح الذرية هدف الإسلام وبه ينصلح المجتمع وتصلح ذرياتهم مع حصول البركة في هذه الأمة.
5. أن عدم صلاح الذرية يؤدي إلى إفساد المجتمع والفرد.
6. ثبات الآباء على العقيدة الصحيحة مع تقوى الله تعالى، فهذا يبعث على إصلاح الأبناء في حياتهم.
7. أن عدم الإيمان يؤدي إلى خلخلة المجتمع وزوال البركة عنه مع حصول التردي والانحطاط.
8. التمسك بالسنن التي بينها الله تعالى في كتابه.
9. تربية المؤمنين على الصبر والصدق والثبات على الإيمان.

التوصيات:

1) أوصي كل باحث بأن يأخذ من القرآن كل

ما هو يصب في خدمة الأمة من استنباط الآيات واستخراج المقاصد التي تخدم الأمة.

2) الإقبال على طلب العلوم الشرعية، والسعي في نشرها.

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد لخدمة كتابه العزيز، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عامة المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).
2. تفسير ابن باديس: عب الحميد محمد بن باديس الضهاجي، (ت: 1359هـ)، ت: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م، الأجزاء: 1.
3. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأهلي أبو جعفر الطبري، (ت: 310هـ) ت: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، الأجزاء 24.
4. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
5. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5.
6. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، ت: 1418هـ، مطابع اخبار اليوم، الأجزاء: 20.
7. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 30.
8. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي المعروف بسيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون 1423هـ / 2003م.
9. زهرة التفاسير: محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، الأجزاء: 10.
10. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 30.
11. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ، عدد الأجزاء: 9.
12. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير): جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،

الطبعة: الخامسة، 1424هـ/ 2003م، عدد الأجزاء: 5.

13. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: 1415 هـ - 1995 مـ.

14. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390 هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.

15. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8.

16. تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، معدد الأجزاء: 12 جزءا.

17. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.

18. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، عدد الأجزاء: 8.

19. تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الأولى، 1391 - 1971، عدد الصفحات: 311.

20. المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ - 1995 م، عدد الصفحات: 937.

21. التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الصفحات: 431.

References

- Liberation and Enlightenment, Muhammad al-Taher ibn Muhammad ibn Muhammad al-Taher ibn Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), Tunisian Publishing House – Tunis, 1984 AH, volumes: 30 (and part 8 in two parts).
- Interpretation of Ibn Badis: Ab Al-Hamid Muhammad bin Badis Al-Dahaji, (d.: 1359 AH), T.: Ahmed Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, 1st Edition, 1416 AH - 1995 AD, Parts: 1.
- Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib al-Ahli Abu Jaafar al-Tabari, (d. 310 AH) T: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD, Parts 24.
- Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer

ed from al-Sultaniyya with the addition of numbering numbering Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi), first edition, 1422 AH, number of parts: 9.

- The easiest interpretations of the words of the Great Most High (with the footnote of Nahr al-Khair): Jabir bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber Abu Bakr Al-Jazaeri, Library of Science and Governance, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, fifth edition, 1424 AH / 2003 AD, number of volumes: 5.
- Lights of the statement in clarifying the Qur'an with the Qur'an: Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar bin Abdul Qadir Al-Jakni Al-Shanqeeti (deceased: 1393 AH), Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, edition: 1415 AH - 1995 AD.
- Qur'anic Interpretation of the Qur'an: Abd al-Karim Yunus al-Khatib (deceased: after 1390 AH), Dar al-Fikr al-Arabi – Cairo.
- Interpretation of the Great Qur'an: Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (deceased: 774 AH), Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, second edition 1420 AH - 1999 AD, number of volumes: 8.
- Tafsir al-Manar: Muhammad Rashid ibn 'Ali Rida (deceased: 1354 AH), Egyptian General Book Organization, 1990, multipart: 12 volumes.
- Intermediate interpretation of the Holy Qur'an: Muhammad Sayed Tantawi, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Faggala - Cairo, first edition.
- bin Ghalib al-Ahli Abu Jaafar al-Tabari, (d. 310 AH) T: Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD, Parts 24.
- Sahih Muslim: Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Nisaburi (deceased: 261 AH), investigator: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, publisher: Dar Revival of Arab Heritage – Beirut, number of volumes: 5.
- Interpretation of Al-Shaarawy: Muhammad Metwally Al-Shaarawy, T.: 1418 AH, Akhbar Al-Youm Press, parts: 20.
- The enlightening interpretation of the creed - Sharia and method: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Muasher - Beirut, Damascus, second edition, 1418 AH, number of volumes: 30.
- In the Shadows of the Qur'an: Sayyid Qutb Ibrahim Hussein al-Shazly known as Sayyid Qutb, Dar Al-Shorouk, thirty-second legal edition 1423 AH / 2003 AD.
- Zahrat al-Tafsir: Muhammad ibn Ahmed ibn Mustafa ibn Ahmed known as Abu Zahra (d. 1394 AH), Dar al-Fikr al-Arabi, volumes: 10.
- The enlightening interpretation of the creed - Sharia and method: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Muasher - Beirut, Damascus, second edition, 1418 AH, number of volumes: 30.
- Sahih al-Bukhari: Muhammad ibn Isma'il Abu Abdullah al-Bukhari al-Jaafi, Investigator: Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Publisher: Dar Tuq al-Najat (illustrat-

- Milestones of revelation in the interpretation of the Qur'an = Tafsir al-Baghwi: Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud al-Baghawi (deceased: 510 AH), edited and narrated by Muhammad Abdullah al-Nimr - Othman Juma'a Damiriya - Suleiman Muslim al-Harsh, Dar Taiba for Publishing and Distribution, edition: fourth, 1417 AH - 1997 AD, number of parts: 8.
- Tuhfat al-Mawdud bi-Ahkaam al-Mawlid: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), edited by: Abd al-Qadir al-Arnaout, Dar al-Bayan Library – Damascus, first edition, 1391-1971, number of pages: 311.
- The Elected in the Interpretation of the Noble Qur'an: A Committee of Al-Azhar Scholars, Supreme Council for Islamic Affairs - Egypt, printed by Al-Ahram Foundation, edition: eighteenth, 1416 AH - 1995 AD, number of pages: 937.
- Clarification in the sections of the Qur'an: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (deceased: 751 AH), Investigator: Muhammad Hamid al-Fiqi, Dar al-Maarifa, Beirut, Lebanon, number of pages: 431.